الحكم السديدة

والتوجيهات الرشيدة

من خواطر الشيخ الدكتور

السيد الشريف محمد شكري حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة السيد الشريف

فضيلة الشيخ د. محمد عبد الرحمن الأهدل

وقع في يدي كتاب خواطر نفيس، تربّع على منصة التحقيق، وتلفَّع بمِرْط اليقين، منهله عذب، وأسلوبه أخّاذ، وموضوعاته متنوعة رغم تشابكها، فجال بي في رياض الإيمان، وطوّف بي في مقامات الأبرار، وتوجيهات الأئمة الأخيار، وتتميز هذه الخواطر بأن لُحْمتها وسداها المصدران النيّران اللذان لا يضل من اهتدى بنورهما، ولا يشقى من عمل بمقتضاهما، بل يسعد في الدنيا، وينعم في الأخرى وهما مطلب الأَلِبّاء.

إن هذه الخواطر مستلة من كتاب الله الفرقان، وسنة رسوله المأمور بالبيان، فصلوات الله وسلامه عليه ما ارتفع إلى السماء أذان، وما لهج بكلمة التوحيد مسلم، وطرّزها بغُرَرٍ بديعة من كلام السلف، وجميل قول الخلف فكانت بحق خواطر ذات طابع تأثيري فريد، كيف لا ومنشؤها سلالة الشرف، من بيت الآل الطاهرين، العلامة البارع المتفنن، صاحب العزيمة المتمطية، والدعوة الوسطية الدكتور محمد بن شكري حجازي الحسيني. أعلى الله مقامه.

وهذه الخواطر وشّاها بجواهرِ المعاني وطرزها بلطيف المباني، فإذا بها ترفل في حلل الجمال، وتميس في بردة الكمال، خميصة

المبْـنى، بطينـة المعْـنى، سـكب فيهـا محبّرهـا زبـدة الحِكَـم، وجوامـع الكلم، ورصّعها ببـديع العسـجد، وسـبكها بالبيـان الأخـاذ، فأضـحت تحفـة فريـدة، لأنهـا خـواطر مفيـدة، وفوائـدها عديـده، وأفكارهـا وسـطية سـديدة، ومـن سـامرها ونادمهـا ستشـده إليهـا بسـحرها البـابلي، وبيانهـا الهاشـم وتضـفي على مـن تمـلّى فيهـا هالـةً مـن الحصـافة، وتمـدّه بتوجيهـات مجـرب حكـيم، تـدعمها آيـات مـن تنزيل العزيـز العلـيم: ﴿وَمَـنْ أَصْـدَقُ مِـنَ اللهِ قِـيلا﴾، وكـأني بهـا إذا تلقفتهـا الأيـدي بعـد طبعهـا، وقـد تـواردت عليهـا أفـكار الطـلاب شرّقت وغرّبـت، وأتهمـتْ وأنجـدتْ، "والمنهـل العـذب كثـير الزحـام" لاسيما وموضـوعاتها متنوعـة تنتقـل بـك مـن حديقـة غنّـاء إلى روض نضير، وحكـم تشـير أصـابعها إلى واقـع العصر- تضـبط مـا جـد على بسـاط التقـدم الحضـاري بـالميزان الشرـعي، حـتى لا تنقلـب النعمـة نقمـة، فتنـوُّعُ مواضـيعها مـن الناحيـة الفكريـة أدعى لمغالبـة السـأم والملـل اللذيـن قـد يعتريـان طالـب العلـم، عنـدما تنقلـه مـن خلـق المسـلم إلى أعمـال القلـوب، ثـم إلى آداب السـلوك، وتشـعفه بتلـك التصـورات النافعـة الـتي يكتسـب النـاظر فيهـا فقهـا وثقافـة، ومعرفة وحصافة، فهـذه التنـوعات الفكريـة تـدفع الطالـب النّهِـم إلى النَّهل من معينها العذب. والله الموفق

مـا أروع التوجيـه في الخـواطر لأنهـا مـن عالـم مثـابر
يا طالب العلـم ويـا أولي الحِجى من سامر التوجيـه فيهـا قـد نجـا

لأنهـــا مـــن عَلَـــم مســـــتبصر　　مستمســـك بهـــدي أهـــل الأثـــر
يصـــدع بـــالنص مـــن القـــرآن　　وســــــنَّة المـــــأمور بالبيــــان
صـــلى عليـــه الله مـــا وبـــل هـــمى　　ومـــا نجـــوم زينـــت وجـــه الســـما
وآله وصـــــحبه الأعـــــلام　　مـــن نـــشروا لشـــرعة الإســـلام

بقلم السيد د / محم عبد الرحمن الأهدل
جامعة الطائف، كلية الشريعة والأنظمة

مقدمة السيد الشريف

فضيلة الشيخ د. مازن الشريف

الحمد لله العليم الحكيم، وصلى الله على رسوله النبي الكريم، وعلى آله أهل اليقين والتسليم، وبعد:

فالحكمة كنز من عطاء الله العظيم، الذي لا يُلَقّاه إلا ذو حظ عظيم، ومن يؤتاه فقد أوتي الخير الكثير: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

هذا ولأهل الحكمة نظر سديد وفكر رشيد، وسهم يرمى إلى بعيد، وقد قرأت كتابا تعددت فيه سهام الحكمة على مرامي المعاني، فأصابت عينها، واخترقت لبها، ولامست جوهرها، وهو كتاب فريد في سبكه، متنوع موشى بالقرآن والسنة وأقوال أهل الحكمة من السلف والخلف، قد زانته لغة ميسرة سلسلة، وأسلوب بديع جميل، وانطوت فيه معارف رجل عارف، وحكم حكيم غارف، من معدن الحكمة نسبا ونسبة.

فهو السيد من آل بيت نبي الرحمة والحكمة، الذين هم نبراس الحكماء وقمم المعرفة والفهم والفصاحة، أما نسبته فللحق يقينا، وللإسلام دينا، وأكرم بالحق إلى الحكمة موصلا، وأكرم بالإسلام إلى الحكمة هاديا.

إن ما دونه أخونا العلامة السيد الدكتور محمد حجازي الحسيني حفظه الله در مكنون وجوهر مخزون، أولى بأهل الألباب وطالبي المعرفة الناصعة والحق الأبلغ والحكمة البالغة وجوامع الكلم أن يقطفوا من ينعها ويرتشفوا من معينها ومنبعها، ويسوقوا قوافل الفهم إلى واحات الحكمة والعلم، وفيه نصح أمين، وتوجيه مربّ ذرب فطن، وتوصيات عالم يعي جيدا مرامي ما يقول.

كما أنه دعوة للتدبر، ونداء للنظر والتفكر، وللوسطية والاعتدال والصفاء القلبي والذهني، ونظر عميق في قضايا الواقع، وطواف على مسائل بين الغيب والشهادة، وبين الحياة الدنيا والآخرة، وفيه محبة خالصة لله، لا تستقر إلا في قلب مؤمن سلمت من الأهواء نفسه، وبرأ من الأدران قلبه، وصفى بالحكمة فهمه وعقله.

وما أجمل قوله: استغرق في إمرار أسماء الله الحسنى على عقلك وقلبك، ورددها بلسانك بسكينة ووقار متأملا فيها، مستحضرا عظمتها وجلالها، واختر كل يوم اسما من أسماء الله الحسنى، ولتفكر فيه بهدوء وتركيز وصفاء.

مثلا القادر المقتدر، تفكر في قدرته العظيمة على فعل أي شيء، تفكر في سعة وشمولية وعموم قدرته ... ثم ادع الله بعد أن

تفكـرت فيـه واسـتغرقت في معانيـه...وهكـذا افعـل مـع كل أسـماء الله الحسنى، لعلك تسعد وتفلح.

بـارك الله في الكتـاب وفي كاتبـه، ونفـع بهمـا، وجعـل ذلـك في مـيزان الحسـنات، محبـة لله ولرسـوله سـيد الكائنـات، والحمـد لله رب العالمين.

السيد د. مازن الشريف

سوسة، تونس، ٢٠١٩/٠٣/٢٩

مقدمة فضيلة الدكتور بدري المدني

تربية بإيقاع العصر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزا عَظِيما﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١]

الحمد لله الذي منَّ على عبادِه بالعلمِ والحِكمة، أحمدُه -سبحانه- وأشكرُه على كلّ خيرٍ ونعمة، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، هدَى عبادَه طريقَ الرَّشاد وحذَّرَهم حُلُولَ النِّقمة، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدا عبدُه ورسولُه جعل الله له في كل مِحنةٍ مِنحَة، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه أُولِي الفضائل والفِطنَة.

حين تقرأ ما يكتبه الدكتور الشيخ محمد حجازي الحسيني وليس بمقدورِك إلاّ أن تنجذب منبهرا وقد استمالك بدلال ومحبّة لتنساق معه يعلّمك بغرس الغراس، ويدع الإنبات لرعاية الله وزكاته.

هو الداعية الذي أدرك أنّ الحكمة منَّةٌ من الله سبحانه لعباده؛ إذ ما أُعطِي العبدُ شيئا بعد الإيمان بالله والخُلُق الحسن أغلى من الحكمة، كيف لا وهي منحةٌ اختصَّ الله بها من يشاء من عباده، فقد قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:

٢٦٩]. هو الناصح الذي فقه أنّ الحكمةَ خيرٌ كثيرٌ تجمعُ للمرء مكارِمَ الأخلاق والتصرُّفات، فهي مِقبَضُ رَحاها، وأُسُّها الحاكم، ولقد صدق الله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. هو الكاتب الذي حبّر مازجا التوجيه بالإرشاد والرشاد معتمدا الحكمة السديدة المسدّدة ليبثّ من علمه من به زكاةٌ للنفوس، يُهذِّبُها، ويلمُّ شعثها، ويُلقِي بأحسن الحُلَل وأبهاها عليها، فترقى وتسمو، بأسلوب رشيق ولفتات مضيئة، فيحمل النفوس على التزكية التي هي مخالفةُ أهواء النفس والترفُّع بها عن المعاصي والآثام.

هو الموجّه الذي سلك منهج القرآن متأسيّا بالآيتين الكريمتين الأولى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والثانية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] . فربّنا تربية للخلق قدّم التزكية على التعليم، ومن المعلوم أن تقديم الشيء دليلٌ على الاهتمام به والعناية بمكانته، فتلك الآيات تُعنَى بالتزكية وتقدّمها.

ومسلك المؤلف تقديم التزكية بالحكم على التوجيه بالعلم، فقد جعل عنوان كتابه: الحكم السديدة والتوجيهات الرشيدة، وجعل كتابه ومضات خاطفة موجزة تتكلّم إيقاع العصر وتواكب وتيرة الحركة فيه كما تنساق مع بساطة الكلمات بساطة المعاني وهي عميقة تمخر عباب الذهن تجلي منه الصدأ وتتحرك بداخل المنصوح نواقيس تهزهز الوجدان والقلب والعقل، وجعل ترتيب حكمه وتوجيهاته كعقد لؤلؤ منضود تزيّنه جواهر من آي القرآن ودرر من جوامع كلم المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وقطع مذهّبة من نظم الشعراء. .

كتاب تجد فيه سرّا لطيفا ونفسا جديدا من قواميس الدعوة إلى الله والتربية التزكوية وترى فيه الدكتور الشيخ محمد شكري الحجازي داعية ومربِّيا، يقوم بالغرس ولا يتكاسل ولا يتوانَ عن الغرس، وإن لم يرَ أثر ذلك في حياته ثمّ يرعاه حتى يثمر ثمرته المرجوَّة، وقد وعيَ أن ذلك ليس إليه، وإنما هو إلى الله وحده، فلا يحزن ولا ييأس إن لم تثمر غراسه وهذه فلسفة هذا الكتاب الملخصة في قول الصادق الأمين المرشد المربي الموجه الحكيم السديد الرشيد المسددّ النبي صلى الله عليه وسلم "مَثَلُ ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبِلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،

وكانت منها أجادبَ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشرِبوا وسقَوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسِك ماءً، ولا تنبت الكلأ، فذلك مَثَل مَن فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومَثَل مَن لم يرفَع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسِلت به".

اللّٰهُمَّ اجعلنا من أهل الحكمة الذين يقولون بها، وبها يعملون

الشيخ بدري المدني
خريج جامعة الزيتونة / تونس

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة قيس بن محمد آل الشيخ مبارك

عضو هيئة كبار العلماء سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي كل توفيق وملهم كل خير والهادي إلى كل حق، يا ربنا لك الحمد كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك وبعد:

فقد أطلعني أخي الحبيب التقيُّ النقيُّ الغيور على دينه، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن شكري حجازي الحُسيني على رسالته النافعة الحكم السديدة والتوجيهات الرشيدة، حفظه الله وزاده توفيقا وسدادا.

وقد عالج فيها كثيرا من القضايا في عديدٍ من الحلقات، وكان خلال هذه الحلقات لا يكاد يفوِّت أدبا من آداب الإسلام إلا ويشير إليه، وينبِّه على علاجه، كحسن الديانة والرضا والتوكل والشكر والثبات على المبادئ والبعد عن الأخلاق المنافية للدين، كالحسد والتباغض والغرور، والفحش في القول والعمل، وغيرها.

فالكتاب ثريٌّ بالقيم الإسلامية، مشحون بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وأقوال الصالحين، والحكم الربانية.

ففضيلة الشيخ محمد تاريخٌ حافل من العطاء، بأعمال جليلة ودروس قيِّمة من النصح والتوجيه والإرشاد، وقد صاغَ

رسالته هذه بلغةٍ فصيحةٍ سلسةٍ في عباراتها، جزلة في معانيها، مع وضوح في الرؤية وحُسْنٍ في العرض والترتيب، وملاحظةٍ لروح الشريعة ومقاصدها، فمن عباراته الرائقة قوله عن هجْرَة القَلْب إلَى الله: لا مفر من الله إلا إليه، يتنقل قلبك بين أودية، وشعاب، وجبال وهضاب وبين فئات، وطبقات عليا من البشر تقصدهم، وتهرع إليهم سراعا في تحقيق مصالحك؛ فيتشتت شمل قلبك، وتتفرق طاقته، وتضعف همته. وفي كل مرة يظهر الله لك خذلان من تركن إليهم من البشر، وتَخلِّيهم عنك في لحظة ضعف وحاجة، ليعلِّمك درسا عظيما ألا وهو أن الأمان والطمأنينة والسكون والأنس لا يتحقق إلا بالتعلق بالله وبالفرار إلى الله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

شكر الله للدكتور محمد ما بذله من جهد مشكور، وما نبّه إليه من معانٍ عظيمة، وما قدّمه من خدمةٍ جليلة، وزاده توفيقا وسدادا، ونفعه ونفع به.

وكتبه

الشيخ قيس بن محمد آل الشيخ مبارك

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا.

والحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو اللطيف الخبير.

والحمد لله مِلْءَ السموات ومِلْءَ الأرض ومِلْءَ الميزان.

والحمد لله المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها، والمختتم بالنعم المتجددة بعد حصولها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على خير خلق الله ومصطفاه، وخاتم أنبيائه ورسله ومجتباه، سيدنا ونبينا وحبيبنا وقدوتنا **محمد بن عبد الله** الهاشمي القرشي، الذي ننهل من معينه العذب الصافي العلومَ النافعة، الظاهرة والباطنة، والحكم السديدة الرشيدة الباهرة.

وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن سار على نهجه، واقتدى به بإخلاص وحب ورضى ويقين، إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــد: فهـــذه خـــواطر كتبتهـــا على عجالـــة، في أوقـــات متباعدة، راعيـت فيهـا التيسـير والاختصـار، خوفـا على طلـب العلـم النافع السديد من السأم والملل.

وكان الباعـثَ على كتابتهـا نفـعُ عمـوم أمـة سـيدنا وحبيبنـا المصطفى الأزكى محمد صلى الله عليه وعلى آله النجباء وسلم.

وكنت في كتابتهـا على أحـوال متعـددة، مـا بـين سرور وأحـزان، وانبساط وانقباض، وصحة وأمراض، وفراغ وشغل.

لكـني أنتهـز الدقـائق اليسـيرة لكتابـة لمعـة أو فكـرة أو عظـة وعـبرة ـ بـين سـاعات الأشـغال والعـوارض؛ حرصًـا مـنّي على تقييـد الفكرة بالكتابة، قبل حلول الانشغال وتبدل الأحوال.

وكان ذلك بمحـض فضـل مـن العـلي الأعلى الحكـيم الأحكـم، ذي الجود والإحسان والفـتح والامتنـان، فللـه الحمـد مـن قبـل ومـن بعد، وله الفضل من قبل ومن بعد.

ثم لسيدنا ونبينـا وحبيبنـا الفضـل، حيـث إن سـنته الـشريفة الغراء تفتح للعـالِم والـمتعلم أبوابـا مـن العلـوم النافعـة، والكلمـات الجامعـة، واللمعـات السـاطعة، فجـزى الله نبينـا وسـيدنا محمـدا عنـا ما هو أهله ومستحقه.

اللَّهُمَّ صـل على محمـد، وعلى أزواجـه وذريتـه، كمـا صـليت على إبـراهيم، وبـارك على محمـد، وعلى أزواجـه وذريتـه، كمـا باركـت على إبراهيم، إنك حميد مجيد.

وأرجو ممن قرأ هذا الكتاب المتواضع أن يتدبر معانيه، ويكرر ألفاظه ومبانيه؛ لكي تعظم استفادته منه (بإذن الله تعالى) قارئا ومستمعا، وشارحا ومتأملا؛ لأنه كالروضة الغناء، وكالحديقة الفيحاء، فيها أنواع الورود والزهور، يقطف منها القاصد ما يريد، ويستفيد ويستزيد، من موضوعات متنوعة في الإيمانيات والأخلاقيات، وفي الفكر والسلوك، وفي تزكية النفوس والمواعظ، وفي تطوير الذات والحكم الرشيدة.

فاللَّهُمَّ اجعله لوجهك خالصا، ولعبادك مباركًا يانعًا نافعًا، وإلى دار الفردوس دليلًا وسائقًا.

وافتح به ـ يا رب يا فتاح ـ أعيُنًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا.

واكتب له الرضا والقبول في أهل السماء وأهل الأرض، وسخر له من يقرأه على الناس بين النافلة والفرض، في المساجد والمدارس ودور العلم ومجال الذكر.

واجعل ـ يا رب ـ له القبول في قلوب أولياء أهل الحق والعرفان، والعقل والإحسان.

وأرجو ممن انتفع به أن يدعو لي، ولوالدي، ولأحبابي؛ بالغفران والرضوان، في الدنيا وفي دار الحيوان.

كتبه الشيخ د. محمد شكري حجازي الحسيني

١٤٣٩/٣/٩هـ

﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾

الإخلاصُ لله هُوَ بِدايةُ الطَّريقِ إلى اللهِ.

وهوَ أولُ لَبِنَةٍ، وأهمُّ لَبِنَةٍ مِن لَبِناتِ التَّوْحِيدِ.

وهو السِّرُّ الأعظَمُ في تحْقِيقِ التوْحِيدِ الَّذي جاءتْ به الرُّسُلُ.

فلا تَوحيدَ لـمَنْ ليسَ عنده إخلاصٌ.

ولا يُقْبَـلُ العَمَـلُ الصَّـالحُ، ولا يُكْتَـبُ أجْـرُه وثَوَابُـه إلَّا بالإخْلاصِ.

فـالإخْلاصُ خَـلَاصٌ مِـنَ الشَّـرِّ والـمَحْقِ، ومَنجـاةٌ مِـن الهلَاكِ والخُسرانِ.

والإخلاصُ بَركةٌ، وخَيرٌ مبْسَوطٌ، وثِقلٌ لكَ في المِيزَانِ.

وهوَ أفْضَلُ عَمَلٍ شَافِعٍ لكَ عِنْدَ ربِّك.

وهوَ المقصودُ بالعباداتِ كلِّها.

وهوَ أكْبَرُ حَسَنةٍ تَلْقَى بِهَا ربَّك يومَ يَقُومُ الأشْهادُ.

وحَقِيقـةُ الإخْـلاصِ: أنْ تُخَلِّـصَ قلْبَـك، وتُنقِّيَـه مِـنَ الشَـوائبِ، وتجْعَلَـه صـافيَا مُـنَقًّى مِـن كلِّ المقاصِـدِ إلا قصـدَ وجـهِ اللهِ العظـيمِ، فَيَتعلَّقُ قلبُك بـاللهِ بعـدَ معْرفتِـك بعَظَمتِـه، وتتـيَقَّنَ أنَّـه ﷻ هـو الإلهُ الحَقُّ الـمُبينُ ومَا سِوَاهُ فصُورٌ، وأشْبَاحٌ لاَ تسْتَمرُّ، ولاَ تَسْتَقرُّ!.

فمنْ دَعَا غيْرَه ﷻ فَهُو كمَنْ خرَّ مِنَ السَّماءِ فتخْطَفُه الطَّيرُ، أو تَهْوي به الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحِيقٍ، وهو كمنْ أَرَادَ كِتَابةَ عَقدٍ مُهمٍّ فَنقَشَه على المـــاءِ! أو كَمنْ أَرَاد سفرًا طَويلًا بالسيَّارةِ، فملأَ خزَّانَ الوَقُودِ بالمـاء! **فكُلُّ ذلكَ هَباءٌ.**

ذلكَ بأنَّ اللهَ هوَ الحقُّ، وأنَّ ما يَدعُونَ مِنْ دُونهِ هوَ البَاطِلُ.

فَهوَ سُبْحَانه يُحرّكُ السَّاكنَ، ويُسكِّنُ المُتحرِّكَ، وهو سُبْحَانه يُعْطِي ويَمنَعُ، ويخْفِضُ ويَرفعُ، ويُعزُّ ويُذلُّ، وينْفَعُ ويَضُرُّ، ويقْبِضُ ويبْسُطُ، ويُحيي ويُمِيتُ.

فمَنْ كَسَبَ اللهَ فَمَاذَا خَسِرَ؟! ومَنْ خَسِرَ اللهَ فَمَاذا كَسَبَ؟!

ومَنْ أخْلَصَ للهِ فَماذا خَسِرَ؟! ومَنْ أشْرَكَ مَعَه اللهِ فَمَاذَا كَسَبَ؟! ولاَ حولَ ولاَ قوة إلَّا بالله.

فاعْبُدْ ربَّكَ مُخْلصًا له الدِّينَ، وتَوجّهْ بِقلْبِك إليهِ، وأَخْلِصْ وجْهَكَ لوجْهِه، وقل: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩].

فحَذارِ أنْ تَتقصَّدَ غيْرَه بِقلبِك في عِبَاداتِك.

وحَذارِ أنْ تلْهَثَ وَرَاءَ الجَاهِ والْمَالِ، والسُّمعةِ، والدُّنيَا؛ وتُخِلَّ بإخْلاصِك فهيَ رُكَامٌ وحُطَامٌ، ثُمَّ رُكَامٌ وحُطَامٌ فَانٍ.

فاسْلُكْ بِنفْسِك في طَرِيقِ مرْضَاتِه ﷻ.

واعْلَمْ أنَّ كُلَّ نيَّاتِك وأقْوَالِك وأفْعَالِك لاَ ترْتَفعُ إلَّا بالإخْلاصِ؛ وإلَّا فقدْ ذَهبتْ هباءً منْثورًا، فهيَ بِدُون الإخلاص كَسَرابٍ بِقِيعةٍ يحْسَبهُ الظمَّآنُ مَاءً، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال ﷻ في الحديث القُدسي: «أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عملًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

فلْنجتَهدْ في تحقِيقِ الإخلاصِ، ولنُجَاهِدْ أنفُسَنا للوصُولِ إلى مِرضَاتِه، ولنبْذُلِ الغَالَيَ والنَّفِيسَ في التَّشَبُّثِ بالإخْلاصِ، والحُصُولِ عَليه، ولْنَتَفرَّغْ لتربيةِ قُلوبِنَا وأرْوَاحِنَا ونفُوسِنا عَليه؛ كيْ تُقْبَلَ أعْمَالُنا وأقوالُنا، ويُبَارِكَ فيهَا.

قالَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: «مَن كانَ ظاهرُه أرجَحَ مِن باطِنِه خفَّ ميزانُه يومَ القيامةِ، ومَن كانَ باطنُه أرجَحَ مِن ظاهِرِه ثقُلَ ميزانُه يومَ القيامَةِ»(٢).

فَاللّٰهُمَّ حقِّقْ لنَا الإخلاصَ لوَجْهِك الكَريمِ، واجْعَلْه عَلينا هيّنًا سهلًا هَنيئًا مَريئًا، وأذقْنَا لذَّتَه، وحَلاوتَه يَا ربَّ العَالمينَ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص: ٥٢)

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾

اسْتَغرق في إمرارِ أَسماءِ الله الحُسنَى على عقْلِك وقَلبك، ورددهَا بِلسانك،، بسَكِينةٍ ووقَار متأملا فيها، مُسْتَحضرا معَانيهَا وعَظَمتَها، وجلالها.

واخْتَر كُلَ يَوم اسما مِن أسماءِ الله الحُسْنَى، ولتُفَكرَ فيه بهدوءٍ وتَركيز وصفاء.

مثلا: القَادر المُقتدر.

تَفكر في قُدرته العَظِيمة على فِعلِ أي شيء.

تَفَكر في سِعَةٍ وشَمُوليةٍ وعُموم قُدرته.

تفكر في قدرته على دفع كل الشرور والمصائب عنك.

وتفكر في قدرته على جلب كل المنافع والخيرات لك.

تفكر في قدرتهِ عَلَى قَلبِ كُل الموازين البَشَرية في لحظةٍ.

تفكر في قدرته على تغيير أي شيء في لمحة.

تفكر وتأمل واستحضر أنَّ جَميع المخْلُوقات في قَبضتهِ وتَحت تصرفه.

فله الخَلق وله الأَمر، وله الحُكم وله الحَمد في الأُولى والآخرة.

ثم ادع الله به بعدَ أنْ تَفكرت فيه واسْتَغرقت في مَعانيه.

وهكذا افعل ذلك مَعَ كُل أَسماءِ الله الحُسنى.

فإنك بذلك تسعد، وتَفلح، وتَنجح بإذنهِ تَعالى.

فَكل الكَون مَرْهُون بأسماءِ الله الحُسنى التي بَلغت في الحُسنِ غَايته مُنْتَهاه، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٨٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْما، مِائَةً إِلَّا وَاحِدا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

ومَعنى أَحْصَاها هنا: أي فَهم معناها، وتَدبَّر فيهَا، حتَّى أثرت فيه وعليه، ثُمَ دَعَا الله بها بإخلاص ويَقِين.

فاللَّهُمَّ أَعنَّا على دُعَائك بأسْمَائِك الحُسْنَى على الوَجهِ الذِي يُرضيك.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

﴿كن مع الله تجد الله معك﴾

أدرْكَت أنَّ التَّعلُّقَ بغيرِ الله هو مفتاح الهَلاك والخُسران، فتشبثت بربي ومَوْلاَي وتَعلَّقتُ بِخَالقي وحَبيب قلْبي؛ فَشَعرتُ بألطَافهِ، ورَحَمَاته تسْري في حَيَاتي وسَعدت بقربهِ، وحنَانه، ورأْفَته بي.

فَهو أرْحَم بِنَا يَا معشَر البَشَر- منْ رَحْمةِ الوَالدة الرَؤوم الحَنُون بولَدها وهو ألْطَف بِنَا منْ كُلِ لَطيف، وأرأف بِنَا مِنْ كُلِ رَؤوف.

قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

فيا مِنْ: تبْحَث عن الرَّحمةِ، واللُطف، والحَنَان في زَمنِ القسْوَة والجَفوة والجُحُود، والنُّكْرَان..

اسْتشْعِر قُربَ ربّك إليك، ومَعيَّته لك سُبْحَانه وعَامِلْه تَعَالى بُحسنِ الظَّن به.

واقْتَرب إليه بالطّاعاتِ ليقْتَرب منْكَ بالرَّحمَات.

وتَحببْ إليه بَالخَلواتِ ليَكُون وليّك في الجَلَوَات.

وحبِّبه إلى خلقهِ بالإشَادة بفْضلهِ وذكر آلائه ونعْمَائه ليكْتُب لك القَبُول، والحُبَّ في قُلوب عِبَاده وأوليَائه.

وكُنْ دَوما منيبا إليه مُنْكسرا بينَ يَديه مائلا بقْلبَك، وقَالبك عِنْ سِوَاه إليه مُتَجَافيا عن دَارِ الغُرور، منيبا إلى دَارِ الخُلود.

مَاذَا تَظُنُّ بِربَّك؟!

والله ما خَلقك ليشْقِيك، ولاَ ابْتَلاك إلا ليُعَافِيك ولاَ حَرَمك إلَّا ليعْطِيك.

ولاَ فتح عَليك أبْوَاب الخيْرَات إلَّا ليُجَازيك.

ولاَ أضَلَّك يوما مَا إلَّا إلى سَبيل الرُّشد ليْهدِيك.

فَلنْ تسْتشعِر، ولن تتذَوق لذَّة نِعَمه إلَّا بَعْدَ أنْ تنْجُو منْ سَابِق نِقَمه حتَّى تعْلَم أن المُلك بيد الله، وأنَّ الأمر كُله لله، وأنّ الله يُقلِّبُ الأُمور كيفَ يَشَاء، وأَنَّه يَسُوقُهَا، ويُصرِّفُهَا إلىَ حيْثُ شَاء.

فَليْسَ لك مِنَ الأمرِ شيء إلَّا الرضا والتَّسْلِيم، وليْسَ لكَ في حُكْمهِ شرك، ولا مُنَازعة، ولا تقْسِيم؛ فَهو سُبْحَانه فَوق مَا يَصفه الوَاصِفُون، وهو سُبْحَانه لا يُسْأل عمَّا يفْعَل وَهُمْ يُسْأَلون.

فَاللّهُمَّ علِّق قُلوبنا بك، واجْعَلنَا أوَّاهِين مُنيبين إليك، وخُذْ بأيدِينَا وقُلوبنَا إلى كُلِ خَير.

﴿من تذلل لله أعزه﴾

يَا عبدَ الله أُنَاديك؛ وأقُول: كُنْ عبدا لله حقا وصدقا، تَذلَّل لربّك ومَوْلاَك واعْرِف قدْره، وعظّمه تعْظيما، وكبِّره تكْبيرا.

لينْكَسِر قلبُك بينَ يَديه اسْجُد لربّك واقْتَرب منْه؛ فَكُل سَجْدة لله ترْفَعُك دَرَجة لأنَّك حَققتَ الذُّل لوجهِهِ ﷻ فَكَافأك بأنْ رَفَع دَرَجتَك ومنْزِلَتَك في الدَّارين، فلنْ تَرْتَفع بمثلِ الذُّل والخُضُوع لمَوْلاَك، ولنْ يعْرِف النَّاسُ قدْرَك إلا إذَا عَرفت قدْرَ ربّك العَظِيم.

فَكُل منْ ذلَّ لله أَعزَّه الله، وكُل منْ حَقق العُبُودية لله ارتَفَع قدْرُه وعَلا شأْنُه.

وانْكِسَارك بينَ يدي ربّك العَظِيم يكْسَر الغُرور في نفْسِك ويُطِّهر قلبَك منْ ذَرَات الكِبر التي لو بَقِيَت في قلبَك لَما دَخَلتَ الجنة؛ فقد قال نبينا ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

والتَّـذَلل بـينَ يَـدي الله يحـيي القَلـب الميِّـت، ويُلـين القَلـب القَـاسي ويُقرِّبُـك مـنْ ربّـك نَجيـا؛ وصَـدَق حبيبنَـا ﷺ: «وإنَّ أبعـدَ النَّاس منَ الله القلبُ القاسي»[١].

وإلى هذا الحديث أشار ابن رسلان في نظم الزبد إذ قال:

وإن أبعـــد قلـــوب النـــاسِ مـن ربنـا الـرحيم قلـبٌ قـاسي

فكَمَـا أنَّ العُتَـاة الجُفَـاة قُسَـاة القُلـوب قـدْ أبْعَـدَهُم الله وطَـرَدهُم مـن رحْمَتـه بُغضـا منْـه لَهُـم؛ فَكَـذَا عِبَـاده الرُّحَمَـاء أهـل القُلُـوب الرَّقِيقـة الليِّنَـة الخَاشِـعَة الذَّليلـة لله قـدْ قَـرَّبَهُم ربُّهـم منـه نَجيـا، واجتَبـاهم، واصْـطَفَاهم مِـنْ بـينَ خلقـه، واسْتَخْلَصَـهم لنفْسِـه سُبْحَانه، وألقَى عَليهم مَحبّة منْه ﷻ.

ويَتَحقـق الذُّل لله تَعَـالى بـالخَلوةِ مَـعَ الله، والتَّفَكُـر فِي آيَاتـهِ، وكَـثرة دُعَائـه ومُنَاجَاتـه، وخَاصـة بِتكْـرَار دُعَاء سـيِّد الاسـتغْفَار المعْـرُوف المشْـهُور: «اللَّهُـمَ أَنْـتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْـتَ خَلَقْتَـنِي.. الـخ»[٢]، ودُعَاء إذْهَـاب الهـمِّ والغَـم المعْـرُوف المشـهور: «اللَّهُـمَ إِنِّي عبـدُكَ ابـنُ عبدِكَ ابنُ أَمَتِكَ ناصِيَتِي..»[٣].

---

(١) أخرجـه الترمـذي بـرقم (٢٤١١) مـن حـديث عبـد الله بـن عمـر ﷺ، وقـال: حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس ﷺ.

(٣) أخرجه بن حبان في صحيحه (٩٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

ويَتحقــقُ الذُّل لله كَــذَلك باسْتحْضَــار عَظَمتــه سُــبْحَانه، وتفْرِيطـك في جنْبـهِ وتقْصِـيرك في حقـهِ عَليـك، ولـنْ تَـدْخُل أيُّهـا المؤمن على الله تعالى منْ بَـابٍ أعْظَـم ولا أوْسَـع، ولاَ أفْضَـل مِـنْ بـابِ الذُّل له حـتَّى المـُـــلُوك إذَا أَرَادوا العِـز والتَّمْكِـين فلابُـد لهـم مِـنْ دُخُول بابِ الذُّل لله تَعَالى ربِّ العالمين.

وقــدْ اشْــتَهر كُفَــار قُــريش بــالكِبرِ، والتَّكــبُّر على توْحِيــد الله وعِبَادتــه والتَّــذلل بــينَ يَديــه فــأذلَّهم الله، وكَسَرــهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات: ٣٥].

وقــالوا كَــذَلك: والله لا تعلــوا أســتاهنا جِبَاهَنَــا؛ أي أنَّهــم لا يرضــون بوْضــعيةِ السُّــجُود لله!؛ لأنَّهــم مُتَعَــاظمون في أنْفُســهم لا يرْضون بتوجيهِ وجُوههم لله، ولا التَّذلل بينَ يدي ربِّهم.

وأمــا العبــد المــؤمن فــيردد دائمــا بقلبــه ولســانه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. فتوجيــه وجهــك لله تكــون بدايتــه بالســجود لله لأنــه كمــا جــاء في الحــديث: «**أقــرب مــا يكــون العبــد مــن ربــه وهــو ســاجد فــأكثروا الدعاء**»[1]؛ فوجهــك الذي هــو أكــرم شيء عليــك تُــذلُّه بــين يدي ربــك بــأن تســجُد عليــه، وكمــا وصَّــاك ربــك سُبحانه: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾[العلق: ١٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ثم أقول لك: اسجد وازدد قربا، ثم اسجد وازدد قربا، وهكذا، وهكذا حتى تكون أقرب الناس لله، فتدخل على ربك من باب العبودية الخالصة التي هي التذلل والخضوع بين يديه سبحانه.

وعندما تقترب من الله يقترب الله منك: «**وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت منه باعا**»[1].

فالذل بين يديه سبحانه هو العز الدائم لك أيها العبد المؤمن ولن يخيب الله تعالى عبدا ذل بين يديه ولن يقصي الله تعالى عبدا اقترب منه وتقرب إليه، ولن يحرق الله وجها سجد له، وتوجه إليه، والشرط في هذا كله الإخلاص لوجهه وابتغاء مرضاته كما أسلفنا.

فاللَّهُمَّ حققنا بالخشية، والذل لك، وأكرمنا بالخشوع بين يديك وأعنا على الخضوع لشريعتك، والانقياد لأوامرك كما تحب وترضى يا رب العالمين يا حي يا قيوم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿سيد الخلق وحبيب الحق﴾

ماذا عساي أن أتكلم؟!

ماذا عساي أن أكتب؟

إن من سأكتب عنه هو من جمع الله فيه الخلال الطيبة، والفضائل الجليلة، والأخلاق الكريمة، والكمالات الإنسانية بأسرها.

إنه حبيب الله، وصفيه وخليله؛ إنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة؛ إنه خير الخلق، والخليقة وأفضلهم وأحسنهم طريقة، إنه سيد العظماء الحكماء، وحكيم السادة النجباء، إنه من كان حليما رؤوفا رحيما برا بالمؤمنين، كريما، جوادا سخيا يعطي السائلين، والمحرومين، شجاعا أبيا يقتحم ساحات الوغى لا يتهيب الموت، حييا صادقا مصدقا، ذا كلام سديد مسدد، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله ما تعاقب الليل والنهار.

محبته ومودته أوجب من محبة النفس والوالدة والوالد، وطاعته والامتثال لأوامره أوجب من طاعة الخليفة والسلطان الغالب، والاقتداء به هو طريق النجاة من الزيغ والضلال، والردى والمثالب.

من أكثر من الصلاة والسلام عليه فرج همه، وكشف غمه، ويسر أمره، ونال المنى، ووصل إلى أعلى المراتب.

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه فجلس وحدث به، فقيل له: وددت أنك لم تتعن فقال: كرهت أن أحدث عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

فاللّٰهُمَّ صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته الغر الميامين ما تعاقب الليل والنهار، وما سبحك المتقون الأبرار.

﴿الدعاء طريق الفلاح ومفتاح النجاح﴾

خلق الله الإنسان ضعيفا يفتقر إلى قوة ربه ومولاه ﷻ، له طلبات وحوائج ومستلزمات ضرورية، وحاجيات يسعى للحصول عليها فيجدّ، ويجتهد ويكدح، ويسعى، ويبذل قصارى جهده حتى يأمنها؛ فيتعرضُ للمخاطر العديدة، ويتحمل الأذى، والتعب، والهمَّ.

وقد يتعرض للإهانة أحيانا؛ كل ذلك طمع في الحصول على مطالبه.

وقد امتن الله على عباده بأن جعل دعاءه، وسؤاله، والتضرع بين يديه والابتهال إليه بصدق وإخلاص، ويقين موئلا لإجابة دعائهم وإعطائهم فوق ما يأملون وما يتمنون؛ لأن الله هو الربُّ الكريم الوهاب ذو الطول، والإنعام، والفضل العظيم.

قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[1].

وقد طلب الله من عباده الدعاء مع الاستجابة لأوامره، ووعد عليه بالإجابة لأنه سميع قريب مجيب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في مستدركه (١/ ٦٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٣٧) والأوسط (١١/ ٣٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ودعاء الله على نوعين:

النوع الأول: وهو أعلاهما شأنا دعاء عبادة وثناء، وتقديس وتحميد وتمجيد حيث يستغرق العبد في مدح ربه وتسبيحه وتمجيده وشكره حتى يغيب قلبُه عن زخرف الدنيا، ويتعلق بمولاه الملك الحق؛ فيشعر بقربه من ربه وقرب ربه منه؛ فيقربه ربه منه نجيا ويكون ربه به حفيا؛ لأنه انشغل بذكر ربه ومولاه عن سؤال حاجته فيعطيه الله حاجته، وأضعاف أضعافها؛ كما جاء في الحديث القدسي: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»(١).

النوع الثاني: دعاء مسألة وطلب، وفيه يرفع العبد حاجاته إلى الله تعالى ويطلب من ربِّه ومولاه قضاءها، وتحقيقها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٢٦) حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقال ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع»[١].

كما قال الناظم:

سَل كلّ شيءٍ ربَّك القديرا واستمطر الجليل والحقيرا

وقد يؤخر الله إجابة سؤلك، وقضاء حاجتك حتى يبقى قلبُك منكسرا لله وحتى يسمع صوتك، وتضرعك أكثر وأكثر، وقد يدفع الله عنك من البلاء بمقدار دعائك.

وقد يؤجل الله لك ثواب دعائك، ويؤخره إلى يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد فتجده في يوم الأهوال أحوج ما تكون إليه.

قال الصحابة رضوان الله عليهم: «يا رسول الله إذا نكثر؟ يعني من الدعاء - قال ﷺ: الله أكثر»[٢].

لا تسألن بنيَّ آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

الله يغضب إن تركت سؤاله و بُنَيُّ آدم حين يُسْأَل يغضبُ

والله يحب العبد الملحاح بالدعاء الذي لا يسأم، ولا يمل من دعاء ربه لأنه يقوم بعبادة جليلة، وكلما دعا الله ازداد قربا لمولاه، وازداد إيمانه وازدادت حسناته، فلنقبل على الدعاء بحب

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٩٤) حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

وشغف، ولنأخذ من كل دعاء جامع بطرف ولنحذر التعدي فيه، والميل، والوطف.

فلا ندعو بإثم، ولا بقطيعة رحم، ولا ندعو بطلب المستحيل، ولنثق بربنا الرحيم الجليل.

فإن أعطانا فهو محض كرمه وجوده وفضله، وإن حرمنا فهو بسبب ذنوبنا وذلك من كمال عدله فلا نتأفف، ولا نتشكى، ولا نتسخط؛ بل نسكن إلى الله ونرضى بحكمه، ونسلم تسليما.

وعن ابن عون رحمه الله قال: ذكر الناس داء، وذكر الله دواء.

وقال الذهبي رحمه الله: إي والله، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟ قال ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[البقرة: ١٥٢].

وقال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله.

ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فتح له[1].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) [السير (تهذيبه) ٢/ ٦٥٧].

فـاللّٰهُمَّ أجـب دعائنـا، وأعطنـا سـؤلنا، واجمـع لنـا بـين خـيري الدنيا والآخرة إنك سميع مجيب كريم رحيم وهاب.

ومما ينسب للإمام علي زين العابدين:

يامن يجيب دعا المضطر في الظلـم يا كاشف الضر و البلوى مع السقم

ادعـوك ربي حزينـا هائمـا قلقـا فارحم بكائي فأنـت الله ذو كـرم

فـاللهُمَّ أجـب دعائنـا، وأعطنـا سـؤلنا، واجمـع لنـا بـين خـيري الدنيا والآخرة إنك سميع مجيب كريم رحيم وهاب.

﴿تفكر ساعة خير من قيام ليلة﴾

حقا إنَّ التَّفكر في مَلكُوتِ الله وآياته، هو غذاء الألباب، ومتعة الأرواح، وهو الباب الأعظم لزيادة الإيمان واليقين؛ فإذا اكتمل عندك اليقين تفتحت عليك أبواب العلم والحكمة، مع البركة في العمر ولن يضرك ما فاتك، لأنك وصلت إلى الحقيقة، ووصولك إلى الحقيقة لحظة خير من عبادات المغترين مائة سنة، وفي هذا قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، كل ما يشوش عليك في إقبالك على الله بكليتك، وكل ما يعكر صفوك ويكدر خاطرك، فجانبه واجتنبه، وتخلص منه، واهرب منه هروبك من المرض الفتاك؛ فإن لحظة الصفاء والسكينة مع الله، ولحظة التأمل والتفكر في ملكوت الله هي أرقى اللحظات، وأعظم الهبات، ووالله إنها لتشترى بماء العينين، فهي نشوة الصالحين، وسلوى العابدين ومتعة المتقين.

وعن محمد بن واسع: أن رجلا من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة أبي ذر ﷺ يسألها عن عبادة أبي ذر، فأتاها فقال: جئتك

لتخبريني عن عبادة أبي ذر ﷺ قالت: كان النهار أجمع خاليا يتفكر[1].

فاللّٰهُمَّ انفحنا نفحة من نفحاتك، وأذقنا لذة الأنس بك وأخرج من قلوبنا تعظيم الخلق يا رب العالمين.

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١/ ١٦٤)].

﴿الهوى المتبع في الحب﴾

كثير هم المسلمون، ولكنَّ المؤمنين قلَّة؛ فالإسلام هو الأعمَال الظَّاهرة والإيمان هو الأعمال البَاطنة؛ قال ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

فالإيمان الحقيقي الصادق يَظْهَر على أَخْلاَقِ المُسْلِم، وآدابه، وتعاملاته كُلِّها.

فبتحقيق الإيمان يتحقق الولاء والحب في الله ولله، أما الحب لمصلحة عاجلة، أو آجلة، أو لعصبية بغيضة مقيتة، أو لهوى متبع، أو لجاه فاتن أو لدنيا مؤثرة؛ فهو حب كاذب مغشوش مذموم؛ يلحق بصاحبه الإثم والخزي، والخسران في الدنيا والآخرة.

والهَوى إذا دَخَل في القَلبِ أعْمَى وأَصمْ؛ فَيَرى صَاحبه المعْرُوف منكرا، والمنكر معروفا، والحق باطلا، والباطل حقا؛ فمن الحب الصادق الحق النصيحة الخالصة، والنقد البناء، وتصحيح المسار.

عن كعب الأحبار ﷺ قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد عليه من دعائه شيئا، فذكر

أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم[(١)].

فاللَّهُمَّ حققنا بالحب الخالص، لوجهك الكريم، وثبتنا عليه يا رب العالمين.

(١) [حلية الأولياء ٦/ ٣١].

﴿استهدوا ربكم يهدكم﴾

الهداية للحقِّ ثم الهداية للعمل به من أكبر نعم الله تعالى وفضله على عباده: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[(١)].

والهداية اصطفاء، واجتباء منه تعالى، لا يوفق لها إلا من يحب، ولا يسخرها إلا لأهل السعادة؛ فمن أراد به خيرا، أوقد في قلبه العزيمة والإرادة الصادقة للتمسك بالهدى، والتشبث به؛ فسلك به ﷻ طريق الهدى، ويسر له اليسرى، وجنبه العسرى، وسهل له دروب الخيرات: الإحسان، والسماحة والتعاون؛ حتى تكون أسهل شيء عليه، وأيسره، فتجده قائدا ومنقادا لكل خير، طائعا مطواعا لكل بر، قال ﷺ: «قيل يا رسول الله على من حرمت النار قال على الهين اللين السهل القريب»[(٢)]، وقال أيضا ﷺ: «ولينوا في أيدي إخوانكم»[(٣)]، وقال أيضا ﷺ: «تطاوعا ولا تختلفا»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) الكنى والأسماء للدولابي (١/ ٢٦٧) (٤٧٤) صحيح لغيره وهو في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦٦) من حديثا بن عمر ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

قال عون بن عبد الله رحمه الله: ما تحاب رجلان في الله، إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه[1].

فديننا العظيم دين إيجابي فعال بناء، هو دين الحلم والصبر، والرفق واللين والبساطة، والسهولة، والتسامح، والسماحة، والتعاون والتكاتف؛ هكذا أمرنا ربنا، وهكذا وصانا؛ حتى ننال السعادة في الدارين؛ فيا سعد من امتثل أمرَه وأخذ بوصيته.

فاللّٰهُمَّ يسرنا لليسرى وجنبنا العسرى.

(١) [صفة الصفوة ٣/ ٧١].

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

نعم إن المؤمن الصادق الذي ملأ الله قلبه بالإيمان تعلوه السكينة والهدوء والرضا، والاطمئنان، لأنه سكن إلى ربه وركن إليه، وتعلق قلبهُ به، وأحبه من كل قلبه؛ فاطمأن إلى ذكره ووثق بتدبيره، قال ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ﴾[الرعد: ٢٨].

فهو يوقن أن الأمر كله لله، وأن الحكم كله لمولاه، وأن تدبير الأمور بيديه ومصائر العباد كلها إليه؛ قال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٧].

فلماذا الاضطراب وربُّك قد فتح لك ألف باب وباب!، ولماذا التهيج والهيجان؟! وربك بك رؤوف رحمن!، ولماذا الامتعاض، والاكفهْرار وربك الكريم معك!؟؛ فكن من الأبرار.

ولماذا الغضب، واللجاج، وانتفاخ الأوداج؟؛ مع أن ربك يلبي لك ويعطيك جل ما تريده، وما تحتاج!؛ قال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم

مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فاسكن إلى ربِّك واستشعر قربه وحنانه، ولذ بجنابه، والزم عتبة بابه وتعلق بأذيال رحمته، واسلك في طريق مرضاته، وسبيل رضوانه، ولا تستعجل الأجر والثواب قبل حينه وأوانه، ولا ترهق نفسك بكثرة التفكير، وفوض أمرك إلى اللطيف الخبير، وردد كثيرا: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[غافر: ٤٤].

وكن وقت ورود الأخبار المزعجة، والأقدار المؤلمة متحليا بالرضا عن الله، والسكينة والسكون، ولا تتسخط على ربّك ولا تسيء به الظنون.

قال بعض السلف[1]:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقيل أيضا [2]:

إن كان لا يغنيك ما يكفيكا ... فكل ما في الأرض لا يغنيكا

وكن متهلل الوجه بسام المُحَيَّا رابط الجأش، ولا تقل كلاما فيه شطط ولا سخط، ولا فحش؛ لأنك يا رعاك الله موقن بوعد

---

(١) [عيون الأخبار ٣/ ١٨٦].

(٢) [عيون الأخبار ٣/ ١٨٧].

ربك الرحيم لك، وللمؤمنين الصابرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة: ١٥٧].

قال الفاروق: بعد تلاوة الآية "نعم العدلان ونعمت العلاوة"(١).

فلتعلق قلبك به، ولتوجه وجهك إليه، ولتتلو بتدبر، وسكينة وخشوع: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فاللَّهُمَّ أنزل السكينة في قلوبنا، وزينا بزينة التقوى والإيمان، واجعلنا هداة مهتدين مهديين غير زائغين، ولا ضالين، ولا مضلين.

(١) يقصد أن من قال عند المصيبة "إنا لله وإنا إليه راجعون" منحه ربه صلاته عليه ورحمته: هذان عدلان: والعلاوة: هم المهتدون.

﴿أهل الحق هم الرجال حقا وصدقا﴾

الحق هو الطريق الأقوم الذي يوصلك إلى الله، وهو طريق الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهو طريق أتباعِهم الصادقين عبر التاريخ.

وهو طريق الأمان، والاطمئنان، وهو طريق القوة، والعز، والسؤدد، وهو طريق النهضة العظيمة القادمة.

فلا بقاء إلا للحق، ولا ثبات إلا للحق، ولا بركة إلا بالحق، وأهل الحق الصادقين، ولا ثمرة إلا للحق وأهله.

مهما أَرجَفَ المرجفون، ومهما أرعد المنافقون، ومهما شوش المشوشون، ومهما دبر المدبرون، ومكر الماكرون: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحج: ٦]، ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[يونس: ٨٢]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء: ٨١].

عندما يحضر الحق يتزلزل الباطل، وعندما يقوم الحق يخضع الباطل، وعندما يقام الحق يتصدع الباطل، وعندما نولي وجهنا للحق يخر الباطل على وجهه صريعا!.

وفي طريق دعوتنا إلى الله لا مكان بيننا للذين في قلوبهم مرض، ولا مكان بيننا للجبناء، ولا للضعفاء، ولا للخائرين، ولا

للمتحيرين، ولا للمترددين؛ لأنهم سيزيدوننا خبالا، وتخبطا، وتأخرا، وتقهقرا؛ ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

فليست العبرة بالكثرة، ولا بالمكاثرة، وليست العبرة بالعدد، ولا بالتعداد؛ بل العبرة بالرجال الأقوياء الأشاوس الذين يزنُ كل واحد منهم مائة رجل من أولئك؛ فلنهتم بأهل الحق، ولنكرمْهم، ولنحافظ عليهم.

ولنتخلص من أهل الباطل، والتميع، والتخبط، ونبتعد عنهم؛ ولننقِّ الصف منهم حتى لا يتسببوا في التراجع والتأخر عن ركب العز والكرامة.

فالأمة الإسلامية مقبلة على أحداث كبرى تجعل الحليم حيران، والصبور ضجران، لذلك لابد من جودة الانتقاء لأولئك الرجال الذين أثنى الله عليهم بقوله ﷻ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٣٧]،وقال ﷻ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨].

ويد الله على جماعة الحق تأييدا وتسديدا، والجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك!.

وهؤلاء جماعة الحق هم عماد الأمة وقوامُها، وفيهم الخير، والبركة والعز بإذن الله، وهم قرة العين، ومهجة الفؤاد، وما

سواهم فهم غثاءٌ كغثاء السيل وسراب بقيعة يحسبهم الظمآن ماء، وطعام ضريع؛ لا يغني ولا يسمن من جوع وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة»(١).

عن عبد الله بن سلام قال لمن حضر- تشحط عثمان ﷺ في الموت حين ضربه أبو رومان الأضحى: ماذا كان قول عثمان وهو يتشحط؟ قالوا: سمعناه يقول: اللَّهُمَّ اجمع أمة محمد، اللَّهُمَّ اجمع أمة محمد، اللَّهُمَّ أجمع أمة محمد، ثلاثا قال: والذي نفسي- بيده لو دعا الله على تلك الحال أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة(٢).

فاللَّهُمَّ هيء لهذه الأمة رجالا صادقين، تحبُّهم ويحبونك، يجاهدون في الحق وللحق، لا يخافون فيك لومة لائم، ولا عتاب معاتب، واكفنا اللَّهُمَّ شر الذين في قلوبهم مرض يا رب العالمين يا حي يا قيوم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٣١٤].

﴿اتباع الحقّ هو طريق الجنة﴾

لن تصل إلى الجنة بعد رحمة الله مهما كثرت عباداتك الظاهرة والباطنة، ومهما قدمت من إنجازات وتضحيات إلا باتباع طريق الحق وإلزام نفسك بذلك؛ ألا وهو صراط الله المستقيم الذي هو صراط العدل والتجرد والاتزان فلا ميل فيه، ولا اعوجاج، ولا غلو، ولا جفاء، ولا إفراط، ولا تفريط ولا حيف، ولا ظلم، ولا كذب، ولا بهتان.

قال أبو مسلم الخولاني رحمه الله: أرأيتم نفسا إذا أكرمتها وودعتها ونعمتها ذمتني غدا عند الله، وإن أنا أهنتها وأنصبتها وأعملتها مدحتني عند الله غدا؟ قالوا: من تيك يا أبا مسلم؟ قال: تيك والله نفسي[1].

فلنشهد بالحق، وللحق، ولنضع ربنا العظيم نصب أعيننا، وقبل وجوهنا، ولنقدِّم رضاه على رضا الناس.

والحق عليه نور، وله علامات، وقلب المؤمن دليله، ويحتاج إلى يقين بالله وصدق مع الله، وتوكل على الله، وشجاعة، وثبات، وطمأنينة.

---

(١) [صفة الصفوة ٤/ ٤٢٩].

وليست من علامات الحق كثرة عدد أهله، وأتباعه، وأنصاره، ولا شدة قوتهم ونفوذهم، ومتانتهم، ولا كثرة أعمالهم، وإنجازاتهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[المؤمنون: ٧١].

ومن نعمة الله على أهل الحق أن يمنحهم، ويرزقهم السكينة، والهدوء التام والرضا، والطمأنينة الكاملة، والبشر، والسرور الدائم؛ لأنهم حقا كانوا، ولا زالوا مع الله؛ فكان الله تفضلا منه معهم، ومعية الله هي غاية المطالب.

ومما زادني شرفا وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي ... وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

﴿وأتبع السيئة الحسنة تمحها﴾

جَبَلَ الله ابن آدم على الخطأ والنسيان، والضعف: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، حتى تنكسر نفسُه ويعلم عيبه ونقصه أمام كمال الله وبهائه وكبريائه، وجلاله.

فكل بني آدم خطاء، وخيرهم التوابون الأوابون، ولو لم يذنبوا فيستغفروا فكيف يظهر اسم الغفار؛ ولمن يغفر الله؟! : ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥].

إن آدم عليه السلام كان نبيا مكلما ومكرما ووقع في الذنب بسبب الإغواء ثم ندم واعترف، وتاب، وأناب، واستغفر، واستعتب: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ٣٧].

فالمؤمن ذو نفس لوامة - وهم أكثر المؤمنين - يلم بالذنب ثم يلوم نفسه ويتوب منه، وهكذا؛ ثم تغلبه نفسُه فيقع فيه، ثم يندم ويتوب وقد قال ﷺ: «الندم توبة»[(١)].

ورب سيئة أدخلت صاحبها الجنة حيث أحدثت ذُلا وانكسارا بين يدي الله ورب حسنة أدخلت صاحبها النار

---

(١) رواه أحمد برقم (٤٠١٦)، وأبو داود برقم (٣٨٠)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٢).

حيث أحدثت عجبا بالنفس وزهوا وتيها ومن أناب إلى ربه، وصدق مع مولاه في توبته بدل الله سيئاته حسنات وأحسن عاقبته، ومآله.

ومن توفيق الله لك إذا وقعت بسيئة أن تتبعها بحسنة ماحية، فالسيئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها؛ فليس ثمة يوم القيامة بعد رحمة الله إلا ميزان القسط الذي توزنُ فيه الحسنات والسيئات؛ فيا ربِّ رحمتك يوم وزنِ الأعمال.

ونظرتنا للعاصي يجب أن تكون إيجابية، فمن ذا الذي يسلم من الإثم الظاهر أو الباطن! ؟، ومن الذي يزكي نفسه فيعتقد بطهارته من العيب والخطأ! ؟ وقد جاء في الحديث: «المؤمن المفتن التواب»[1].

تعرض عليه الفتن فيهرب منها حينا وتنال منه حينا، ويقتحمها حينا وليس له بعد ذلك إلا الوقوف بين يدي مولاه باكيا نادما منيبا؛ وفي الحديث: «من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن»[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٦٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٥) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وقال: حسن غريب.

لأن هذا فيه تحقيق للولاء والبراء؛ فقد أقع في الذنب إما غلبةً أو ضعفا، أو وهنا؛ ولكني أبغضه وأبغضُ من يقع فيه.

فقد سئل حبيبنا ﷺ: ما النجاة؟ ؛ فقال: «أملك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[١].

وقال عثمان بن عفان ﷺ: لو وقفت بين الجنة والنار، فخيرت بين أن أصير رمادا أو أُخيَّر إلى أي الداريـن أصير، لاخترت أن أكون رمادا[٢].

فالخوف، والخشوع، والخضوع، والندم، والبكاء، وقطرات الدموع؛ هي طريق النجاة يوم القيامة من نار تلظى؛ كما جاء في الحديث: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٣].

فاللّٰهُمَّ تب علينا يا تواب، واغفر لنا يا غفور، وبدل سيئاتنا حسنات بفضلك وجودك يا باري البريات.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٠٦) من حديث عقبة بن عامر ﷺ، وقال: حسن.

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٤٩].

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٦٣٩) من حديث عبد الله بن عباس ﷺ، وقال: حسن.

﴿من ملامح منهاج السلف الصالح﴾

من ملامح منهاج السلف الصالح، أهل الحق والبصيرة ما يلي:

- مصدر الاستدلال عند أهله هو الكتاب والسنة والاجماع الكامل والقياس الصحيح.
- أهلُه يجمعون بين العلم النافع والعمل الصالح.
- أهلُه لا يخرجون عن هدي الصحابة، والتابعين.
- أهلُه ينكرون البدع المحدثة، والضلالات وأهلها.
- يسلم أهله للنص الصحيح الصريح، وينقادون له، ولا يعارضونه بالعقل والنظر.
- يقدر أهله أئمة المذاهب الأربعة، والأئمة المتبوعين قاطبة ويبجلونهم، ويستنيرون بآرائهم؛ ولكنهم لا يتعصبون لهم.

قال ابن رسلان:

والشافعي ومالك نعمانُ وأحمد بن حنبل سفيانُ
وغيرهم من سائر الأئمة على هدى والاختلاف رحمة

- هو منهاج شمولي يحيط بالقضايا، والمسائل من كافة الجوانب والجهات.
- يجتهد أهله في ربط النص بالواقع حتى تتحقق الفائدة للناس.

- هو منهج وسطي متوازن يتبرأ من الغلو، والإفراط، كما يتبرأ من الجفاء والتفريط.
- يعتقد أهله أن دين الله وشريعته صالحة لكل زمان ومكان وفيها حل جميع المشكلات والقضايا المعاصرة، والنوازل الواقعة.
- يدعوا أهله لجمع الشمل، ووحدة الصف على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويذمون الفرقة، والافتراق في الدين.
- يُؤَيد أهلُه العمل الجماعي، والتعاون على البر والتقوى وينكرون الحزبية المتعصبة.
- أهلُه يقولون كلمة الحق بكل شجاعة، ولا يخافون في الله لومة لائم.
- يهتم أهله بإصلاح باطنهم، وظاهِرهم باتباع السنة ويحرصون على ذلك أشد الحرص، ويعَضون على السنة بالنواجذ.
- هم أعرف الناس بالحق، وأرحمهم بالخلق.
- يرفض أهله منهاج أهل التكفير الذي يقوم على التسرع في تكفير المعين من الناس قبل قيام الحجة، وانتفاء الموانع.
- يرفضُ أهلُه منهاج أهل الإرجاء الذي يقوم على قبول الإيمان باللسان بدون عمل صالح، أو تطبيق لشريعة الله.
- يرفض أهلُه منهاج العقلانيين، والمعتزلة الذين يقدسون العقل، ويردون به النصوص القطعية الثابتة.

○ يتبرأ أهلُه من منهاج الرافضة الذين يَغلون في آل البيت رضي الله عنهم حتى قال علي زين العابدين للشيعة " أحببتمونا حتى صار حبكم عارا علينا" كما يتبرؤون من منهاج الناصبة الذين ينتقصون آل البيت ويسبونهم.

○ يتبرأ أهله من منهاج الباطنية الذين يدعون أن للقرآن ظاهرا، وباطنا كما أنهم يرفضون منهاج الظاهرية الغلاة الذين يجمُدون على ظاهر النصوص ويرفضون القياس الصحيح كما يرفضون الغوص في أسرارها ومقاصدها.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده رضي الله عنهم سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ﷻ واستكمال لطاعة الله ﷻ وقوة على دين الله تبارك وتعالى، ليس لأحدٍ من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيءٍ خالفها.

من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله تعالى ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[1].

فأعلى البرايا من إلى السنن اعتزى وأدنى البرايا من إلى البدع انتمى
ومن ترك القرآن قد ضل سعيه وهل يترك القرآن من كان مسلما

(١) [الشريعة ٣/ ٧٠٤].

﴿تريث في فهم النصوص الشرعية﴾

لا تستعجل في فهم النصوص الشرعية، ولا تتهور في إسقاطها وتطبيقها على الواقع المعاش، ولا تتخِذها ذريعة، وسلما للحكم الجائر على الآخرين لغرض صبِّ أحقادك عليهم، والتشفي منهم.

فأحكام وقضايا ديننا العظيم، ومفاهيمه الكبيرة، لا يحيط بها إلا العلماء الربانيون الراسخون في العلمِ الذين أفنوا أعمارهم في طلبه وتحصيله ومدارسته، وتقليب النظر فيه، وإعمال الفكر لنيل مقاصده ومراميه حتى استنارت عقولهم، وعظمت فهومهم؛ وحصلوا على الملكة القوية، والمتينة لكثرة تعمقهم في دراسة الشريعة؛ فاستحقوا أن يصبحوا مرجعية موثوقة، مأمونة للأمة الإسلامية.

عن وكيع رحمه الله قال: لا يكمل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله، وعمن هو دونه[1].

فاتبعهم يا أخي الموفق، وتابعهم في نقلهم للدين الحق، وفي فقههم وفهمهم لمقاصده، وأسراره، ومراميه؛ تفلح، وتسعد، وتنجو من الانحراف، والضلال بإذن الله تعالى قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

---

(١) [سير أعلام النبلاء ٧ / ٥٦٩].

قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

يضحك الشيطان على بعض أهل الخير، فيصرفهم عن تطبيق أسس الدين كتحقيق التوحيد، والولاء، والبراء، والحب في الله، والبغض في الله، وأداء الحقوق إلى أهلها.

والتخلص من الظلم القولي والفعلي، والتخلق بالأخلاق الفاضلة كالصدق، والأمانة، والإنصاف، والرحمة، والتراحم، والتواضع، والانخلاع عن الأخلاق السيئة؛ كالكذب، والخيانة، والظلم، والحيف، والجور، والقسوة، والعنف، والكبر، وغيرها.

فيدفع الشيطان أحدهم إلى أن يصبح كبيرُ همه، ومنتهى حرصه هو تطبيق السنن الظاهرة، والتنطع، والمبالغة في ذلك، والإنكار على من تركها.

فيضيع الفرائض، والحقوق، والواجبات، التي أوجب الله علينا أداءها على أكمل وجه؛ والتي من ضيعها، وفرط فيها هلك وضل، وأثم إثما عظيما وخسر خسرانا مبينا؛ ويتشدد في تطبيق بعض السنن الظاهرة التي يجوز تركها أحيانا.

فالواجب علينا جميعا إعادة النظر في أولوياتنا؛ ولتكن أولى أولوياتنا إتقان الفرائض، وأداء الحقوق إلى أهلها والتخلص من الظلم بكافة صوره وأشكاله، والحرص الشديد على ذلك قبل تطبيقنا للسنن والمستحبات، وبذلك يرضى الله ﷻ عنا ويرضينا

بفضله، وجوده ورحمته؛ قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه»[١].

وجاء رجل إلى أبي أمامة ﷺ فقال: إنه أتاني آت فقال: اعمل مثل عمل أبي أمامة، فقال أبو أمامة: وما عسى ـ أن يبلغ عمل أبي أمامة، أصلي الخمس وأصوم رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صوتت الطير صوت معها يعني من السحر[٢].

ومما ينسب إلى الإمام البخاري:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتَهْ

كم صحيحٍ ألفيتَهُ دون سُقْمٍ ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتَه

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٣٠٨].

﴿الحب والبغض في الله﴾

يتحدث الكثير من العلماء والدعاة عن فضائل الحب في الله، وأهميته وفوائده وآثاره؛ وهذا حسن؛ ولكنهم أغفلوا الجانب الآخر الذي لا يقل أهمية عن جانب الحب ألا وهو البغض في الله؛ فقد جاء في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»[1].

فهما جناحان يطير بهما المؤمن إلى الله، ولا يكتمل أحدهما إلا بالآخر ولا يتحقق الإيمان، ولا يكتمل إلا بتحقيقهما.

فمن فعل معروفا وجب علينا حبه لمعروفه، ومن فعل منكرا وجب علينا بغضه لمنكره حتى يكف، أو ينزع عنه هذا إذا كان المنكر بينه وبين الله.

وأما إذا كان المنكر بينه وبين الناس كوقوعه في ظلم الآخرين، أو البغي، أو الاعتداء عليهم، أو أكل حق من حقوقهم.

فيجب علينا جميعا أن نقوم قومة رجل واحد بنصحه، ومعاتبته؛ فإن قبل فبها ونعمت؛ وأما إن أصر على بغيه وظلمه؛

---

(١) أخرجه البخاري في "الكنى" (ص ٨٢/ رقم ٨٠٢) من حديث عطاء أبي حمزة ﷺ.

فيجب علينا توبيخه وبغضه، وردعه ثم هجرانه حتى ينصاع للحق ويرد الحقوق إلى أهلها.

والحقوق على قسمين: حقوق مادية، وحقوق معنوية، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[1].

وهكذا ديننا العظيم يدعو للإيجابية في كل شيء، إيجابية وقوة في الحب والتعاون، وإيجابية وقوة في البغض والردع؛ حتى يكون مجتمعنا مجتمعا صحيحا مباركا سليما سالما من الأمراض الفتاكة التي تفتك به.

ولو أن كل باغ، وطاغ، وظالم؛ وجد ثلة من الأخيار الصادقين القائمين بأمر الله يردعونه، ويكفونه عن ظلمه، ويوقفونه عند حده لساد في مجتمعاتنا الأمن والأمان، ولاختفت كثير من المنكرات ولتضاءل حجم الظلم، والطغيان في ظل تطبيقنا لشريعة الرحمن؛ قال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢١٩٦) عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [النساء: ٣٥]؛ أي قائمين بأمر الله بميزان القسط والعدالة.

وقال أبو جعفر الباقر: جاء رجل إلى الحسين بن علي ﷺ فاستعان به في حاجة فوجده معتكفا فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن ﷺ فاستعان به فقضى حاجته وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر[1].

﴿تعظيم السنة وإحياؤها﴾

فلنقم قومة رجل واحد بهمة عالية، وعزيمة فتية، متعاونين متكاتفين صادقين في إحياء سنة المصطفى ﷺ قولا وفعلا، عقيدة، وعبادة، وسلوكا، ولنعظمها في أنفسنا تعظيما يليق بعظمة رسول الله ﷺ، ولنعتز بها، ولنفخر بتطبيقها علنا وجهرا، ولنتتبعها تتبعا دقيقا؛ حتى لا نغادر صغيرة ولا كبيرة منها إلا نحصيها، محتسبين الأجر والثواب الجزيل من الله العزيز الجليل.

فلن ترتفع رايتنا، ولن يتنزل نصر الله علينا إلا بتعظيم السنة وتطبيقها بحب وشغف، وإقبال وانشراح، وفخر واعتزاز.

قال الشوكاني رحمه الله: إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام.

فاللَّهُمَّ أعنا على تعظيم السنة، واجعلها طريقنا إلى رضوانك والجنة، قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿الساخط المتسخط المعترض على ربه ومولاه﴾

الحاسد متسخطٌ على الله معترض على قضائه، ولجهله، وقلة أدبه يريد أن يشترك مع الله في تقسيم النعم على خلقه ويعترض على الله في قلبه إذا لم تعجبه قسمة الله؛ فيصبح قلبُه مُتسخطا ونفُسه خبيثة، ونظرته ضيقة.

لماذا فلان أغنى مني؟ ، لماذا فلان أجمل مني؟ ، لماذا فلان أعلم مني؟ لماذا فلان ذو منصب وجاه؟ ، لماذا يا رب أعطيته وحرمتني؟

ثم يثور غضبه فيبدأ بالتخريب، والتخبيب، والفساد والإفساد، والغيبة والنميمة، والكذب والبهتان؛ فينتقم لنفسه من إخوانه الذين أنعم الله عليهم؛ فيعتدي عليهم؛ والله لا يحب المعتدين؛ ويفسد بينهم؛ والله لا يحب الفساد ويظلمهم وقد خاب من حمل ظلما.

فيصبح شيخه الأعظم، وقدوته الأكبر إبليس الذي حسد آدم ورفض السجود له؛ وشيخه الأصغر قابيل الذي قتل أخاه هابيل لأن الله تقبل قربانه.

فلنتأمل يا إخواني الأكارم، ويا أخواتي الكريمات كيف أن الحسد أوقع البعض في عدة كبائر، وفي عدة موبقات.

قال الشافعي رحمه الله:

ألا قل لمن بات حاسدا أتدري على من أسأت الأدبْ
أسأت على الله في ملكِهِ كأنك لم ترض لي ما وَهب

وكيف أن قلب الحاسد مشتمل على السخط، والتسخط والكره والضغينة، والحقد، والكراهية، والغل، والشحناء فهل ترضى أيها الحاسد أن تلقى الله بهذا القلب الأسود؟.

بادر الآن وطهر قلبك، واشكر ربك، وأحب الخير لإخوانك وافرح لفرحهم، وادع لهم؛ وقل يا رب زد فضلك وإنعامك عليهم، وأعطني مثل ما أعطيتهم، واغفر لي ولهم.

قال بعض أهل العلم:

ولا أقرَّ لعين المرء يفعله من أن يعيش سليم الصدر من حسد

الحياة مليئة بالمواقف، والأحداث، والتغيرات، والتقلبات وكأنها بحر متلاطم، وشلالات متدفقة.

تتجدد كل ساعة وتتمدد كل لحظة يتقلب فيها الإنسان بين عسر ويسر، وسعة وضيق، وقبض وبسط، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وفرح وحزن، ورضا وغضب.

فمن رضي عن ربه في حكمه، وقضائه، وقدره، وسكن إليه وركن إليه واطمأن إلى تدبيره؛ فسيرضيه الله تعالى بفضل منه ونعمة، وسينزل عليه الرحمة، والسلوان، والسكون والاطمئنان، ويجعل عاقبته إلى خير.

ومن سخط وتسخط وتذمر، وتنمر، فسيدخل في نفق مظلم وستضيق عليه نفسه وسيضيق هو الخناق عليها، وكأنه يلف حبلا حول عنقه ثم يشده، كلما تسخط، وتذمر، وكلما شكى، وتأفف.

وصدق ﷺ: «فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[1].

فليس لنا إلا الرضا، وليس لنا إلا التسليم فهو الباب الواسع الرحب الذي يفتح عليك أبواب السلام الداخلي الذي هو مطلب البشرية اليوم؛ فإنهم يبحثون عن السلام الداخلي، وقد يسره الله لهم، وذلل قطوفه تذليلا بالرضا عنه، والتسليم له في كل حال.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٤٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

﴿مشاعر القلب﴾

تلك المضغة التي أودع الله فيها أسرارا وأسرارا؛ فما من إنسان إلا وله مشاعر، وأحاسيس تنبع من قلبه فتهز وجدانه، وتحرك جوارحه ومشاعرنا نحن من نصنعها، وقد تخرج عن إرادتنا حينا، ولكن بَوصَلة المشاعر وميزانها هو كتاب ربنا المجيد القرآن الكريم.

فلآياته الكريمة وقعٌ وإيقاعٌ على أوتار قلوبنا، فتحرك مشاعرنا نحو الفضيلة، وتغرس فينا القيم؛ بل تخلق فينا مشاعر من العدم؛ ولكن شرط ذلك هو الترنم والترتيل مع التدبر في جو من التركيز، والهدوء والتفكر.

فهذا هو طريق الله المستقيم، وحبْلُه المتين؛ فلنستمسك به ولنشد عليه بالنواجذ، ولنجعله لنا أنيسا وجليسا؛ فنعم هو الجليس والأنيس.

عن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: قلت لعلي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله كثير الصلاة؟ قال: لا ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر[1].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٨/ ١٧)].

ولنقرأ بخشوع هذه الآيات الكريمات: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]؛ وقوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء: ١٠٦]، وقال ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: ٤].

﴿هجْرَة القلْب إلى الله﴾

لا مفر من الله إلا إليه، يتنقل قلبك بين أودية، وشعاب، وجبال وهضاب وبين فئات، وطبقات عليا من البشر تقصدهم، وتهرع إليهم سراعا في تحقيق مصالحك؛ فيتشتت شمل قلبك، وتتفرق طاقته، وتضعف همته.

وفي كل مرة يظهر الله لك خذلان من تركن إليهم من البشر وتخلِّيهم عنك في لحظة ضعف وحاجة، ليعلِّمك درسا عظيما ألا وهو أن الأمان والطمأنينة والسكون والأنس لا يتحقق إلا بالتعلق بالله وبالفرار إلى الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فاهجر الدنيا، وعبَّاد الدنيا، وهاجر إلى ربك ومولاك الحق المبين: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله»[1].

فإن نويت ذلك، وعزمت على ذلك، وتحركت خطوة واحدة؛ وجدت ربك تلقاء وجهك يستقبلك بالحب والرضى والبشر؛ فيقترب منك ذراعا عند اقترابك منه شبرا؛ لأنه شكور رؤوف رحيم ودود.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

عن وهيب أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما باع جملا فقيل: لو أمسكته فقال: لقد كان موافقا، ولكنه أذهب شعبة من قلبي، فكرهت أن أشغل قلبي بشيء [١].

فاجعل قلبك مخلصا خالصا لله، وخلصه من التعلق بما سواه، وادخل عليه من باب الذل والتضرع بين يديه تفتح عليك أبواب السعادة والفلاح.

فحي هلا بأهل الذكر والقرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وها قد أقبل شهر البركات والرحمات؛ فانتهز الفرصة للدخول معهم، وفي ركابهم.

(١) [(رواه أحمد)كما في، صفة الصفوة ١/ ٢٢٠].

﴿لِتَكُنْ عَلَاقَتُك بِمَوْلَاك مَتِينَة﴾

لتكن عَلاقتُك به متينة قويّة، ولتكن صِلَتُك به دائمة مستديمة في السر والعلن في الرخاء والشدة، في العسر واليسر، تعاهدها وتواصى بها وتصقلها.

كن عبدا حفيظا، كن عبدا مخبتا، كن عبدا أواها، كن عبدا أوابا، كن عبدا منيبا علق قلبك بالله، ولا تلتفت إلى المخلوقين، مهما عظم شأنهم، لا جماعات ولا أحزاب ولا كتل ولا تجمعات.

فالكل مقهورون بقهر الله، مسيرون بأمر الله، محكومون بقضاء الله وقدره.

أَنْزِل الناس منازلهم، وقدرهم قدرهم، ولا ترفعهم فوق منزلتهم، ولا تذل نفسك لأجلهم؛ أطع العلماء وبجلهم، واتبعهم واقتد بهم؛ ولكن لا تعبدهم، بر بوالديك وأحسن إليهم، ولكن لا تطعهم في معصية الله.

دار أصحابك وخلانك وسايرهم، ولكن لا تداهنهم في دين الله، ولا في تطبيق شرع الله.

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند عمران بن حصين ﷺ في حلقته في المسجد إذ مر بنا الحكم بن عمرو الغفاري وقد عقد له زياد بن أبي سفيان على خراسان فقيل لعمران: هذا الحكم

استعمل على خراسان، فقال: علي به. فلما جاء قال: يا حكم، أتذكر حديثا سمعته أنا وأنت من رسول الله ﷺ قال: وما هو؟ قال: سمعناه يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال: نعم، قال: إذا شئت فقم.

قال: فأتى خراسان فأصاب بها غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له البيضاء والصفراء، ولا أعلمن ما قسمت بين الناس ذهبا ولا فضة. فلما جاءه الكتاب قال للناس: اغدوا على غنائمكم فخذوها، ثم كتب إلى زياد: جاءني كتاب الأمير يذكر أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يصطفي بالصفراء فلا يعلمن ما قسمت بين الناس ذهبا ولا فضة، وإني وجدت كتاب الله قد سبق كتاب أمير المؤمنين، ووالله الذي لا إله إلا هو لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبدٍ اتقى الله لجعل له من ذلك مخرجا والسلام[1].

كن قوالا بالحق حيثما كنت، ولا تخش إلا الله، فالخطب جلل، والخطر محدق والمسؤولية عظيمة؛ فانج بنفسك ثم انج بنفسك، ثم انج بمن تشاء من أحبابك وكل المؤمنين أخوتك.

---

(١) [المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥ / ٢٢٩، ٢٣٠].

قال ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾. [الصافات: ٢٤-٢٦].

﴿نعمة كبرى ومنحة عظمى﴾

يتقلب العبد بين نعم الله، وألطافه مستمتعا بها يشعر معها بالقوة، والوفرة والسعة، والراحة، والانبساط.

ويشكر الله عليها حينا، ثم يغفل عن شكره أحيانا كثيرة، فتستحكم الغفلة على قلبه؛ فيغرق في متاهة النسيان فينسى ربه الرحمن، ثم يقسو قلبه فيبطر، ويغتر ويتكبر.

قال ابن رسلان في منظومة الزبد:

وأن أبعد قلوب الناس من ربنا الرحيم قلب قاسي

فيرسل الله له رسولا تلو رسول، ونذيرا يتلوه نذير، لعله يصحو أو يستفيق يبتليه حينا بالخوف، وحينا بنقص في ماله، وحينا آخر بمرض في بدنه، ويسلط الأعداء عليه أحيانا.

إنها رسل الله، ونذره، وجنوده التي لا يعلمها إلا هو، يعطي الله المؤمن بها مهلة، لتصحيح المسار، والعودة إلى الله قلبا وقالبا؛ فإن عاد المؤمن إلى ربه عودة صادقة، وتاب، وأناب إلى مولاه، وأكثر من ذكره، وشُكْره، وحسن عبادته وجد، واجتهد في مرضاته، وطاعته فإن الله شكور حليم يقبل القليل، ويشكر عليه، ويضاعفه، ويجازي عليه بالكثير الكثير.

فما أحلى الابتلاء لمن أحسن الظن بربه، وأحبه من كل قلبه، ووثق بربه وركن إليه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وما أجمل الابتلاء على من جعله فرصة لمحاسبة النفس و تهذيبها وتربيتِها وتقويمِها، وفطمَهَا، ثم خطمهَا، وإلزامهَا بطاعة الله تعالى وسلوك الصراط السوي المستقيم.

قال محمد بن إسحاق: كان أمية بن خلف يخرج بلالا ﷺ إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد[1].

فاللّٰهُمَّ عافنا، واعف عنا، واصرف عنا البلاء، وإن أنزلته علينا فرضِّنا بالقضاء، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، إنك غفور رحيم رؤوف رحمان.

(١) [صفة الصفوة ١/ ١٩٩].

أقبل على ربك الكريم ذليلا مخلصا منيبا مسرعا إلى طاعته، وعبادته مشتاقا حبيبا.

واقصد وجهه، وقربه، وحبه، ورضاه، وحقق عبوديتك الكاملة لله سبحانه، وكن له أواها فما خلقك الله لكي تضيع أوقاتك بالغدو والآصال، ولا خلقك لكي تتيه في دياجير الظلمات والضلال.

ولا أوجدك لتكون عن كل عمل مفيد حائرا متكاسلا، ولا لتغدو سليطا بلسانك نماما همازا متكبرا مختالا فليَسلم المسلمون من شر لسانك ويدك حتى تنجو وتنجح.

ولتَسلم أنت من شر نفسك وهواك حتى تفلح وتربح، فأقبل على ربِّك بشوق وخضوع وخشوع، وليكن لك في كل ساعة عمل صالح مرفوع، وأكثر من سؤال ربِّك ومولاك للرضا عنك والقبول وأن يثبتك على هداه حتى تلقاه فهو خير مسؤول.

عن مجاهد رحمه الله قال: إن العبد إذا أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله ﷻ بقلوب المؤمنين إليه [1].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٨٠)].

اللّٰهُمَّ أقبل بقلوبنا ووجوهنا إليك، واجعلنا موقنين بك متوكلين عليك يا رب العالمين يا حي يا قيوم.

ابذل وسعك وجاهد نفسك، واجتهد في إخلاص نيتك لوجه الله تعالى وتذكر أن الله يصطفي عباده المخلصين، ويحفظهم، ويسددُهم ويؤيدُهم، ويجعلُهم مباركين حيثما كانوا.

واعلم أن الله يرفع أهل العلم النافع درجات عظيمة فوق المؤمنين قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فافرح بفضل الله عليك، واحتسب أجرك من الله عند اجتهادك في طلب العلم؛ فكل مجلس علم تحضره فهو في سبيل الله، وكل كتاب تقرؤه فهو في سبيل الله؛ كما في الحديث: ﴿من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع﴾[1].

واعلم أن العلم بالله هو رأس العلوم وغايتها؛ فاحرص عليه، وتعرف على ربِّك وإلهك حق المعرفة بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة.

واعلم أن العلم بالشريعة، والتعمقَ في مقاصدها، وتعلم قواعدِها هو أجلُّ العلوم وأزكاها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٩٠)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

فلتبدأ بالكتب التي تتكلم عن أصول الإيمان، وأركان الإسلام ومقاصد الشريعة وقواعدها، وأسرارها؛ ثم تدارس كتابا في تقرير وتحقيق الألوهية والعبودية، وكتابا في تحقيق وتقرير الأسماء والصفات لله ﷻ على منهج السلف الصالح.

وتدارس كتابا في تزكية النفوس، وتطهير القلوب من الأمراض المعنوية.

وتدارس متنا في الفقه المبني على الدليل والتعليل من كتب الأئمة المحققين وركز على الأبواب التي تحتاجها، ثم الأبواب الأخرى الأهم فالمهم.

وكتابا مختصرا في تفسير القرآن الكريم بالمأثور، والرأي المبني على المأثور وليكن تفسيرا لعلماء معاصرين عاشوا زمانك، وكتابا في الأحاديث الجامعة مع شرحه المختصر.

وكُتبا في توضيح الأخلاق وتزكية النفوس، والآداب الإسلامية، ومعها كتب في تطوير الذات، وتطوير التفكير، وكُتبا في الرقائق، والوعظِ، والتذكير بما بعد الموت وكُتبا في البلاغة، والأدب، ولسان العرب، والشعر.

وخذ من علوم الآلة بنصيب كالمصطلح، والنحو، وأصول الفقه، وأصول التفسير.

تنبيه: هذه المرحلة للمبتدئين في طلب العلم، وإذا قصدت العلماء لطلب العلم فعليك بما يلي:

- أخلص نيتك لوجه الله تعالى.
- اختر الشيخ الأنسب والأفضل.
- احرص على تحضير الدرس.
- تأدب مع الشيخ واعرف قدره.
- استمع للدرس بإنصات وانتباه.
- اسأل في الدرس، وناقش بأدب.
- اكتب مع الشيخ أهم ما قال.
- بيض ما كتبته بعد الدرس.
- تدارس الدرس مع زملائك.
- كرر الدرس، واقرأه عدة مرات.
- احفظ أهم النقاط والفوائد من الدرس حفظا متقنا.
- توسع في قراءة بعض المراجع الكبرى حول بعض مسائل الدرس.
- وابحث بعض مسائل الدرس بحثا موسعا.
- اكتب كل أسبوع بحث واحد في مسألة واحدة.

ومع هذا فاعلم أنه كلما ازددت علما نافعا ازددت تواضعا ومعرفة بحقيقة نفسك وعيوبِها؛ فأكثر من الاستغفار، والدعاء،

متذللا ومبتهلا إلى مولاك راجيا مغفرته، وعفوه، وكن على حذر وخوف ووجل؛ مع رجائك لله تعالى واستحضارك لسعة رحمته.

وقال الإمام الشافعي [١]:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

هذه نبذه مختصرة جدا، وعلى عجل لعل الله أن ينفعنا وإياك بها.

فاللَّهُمَّ انفعنا، وارفعنا بالعلم النافع، واحشرنا في زمرة العلماء الربانيين، مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين؛ إنك لطيف خبير رحمن رحيم.

(١) [البداية والنهاية ١٠/ ٩٢٣].

﴿ومضة مضيئة في أسس الدعوة وأخلاقياتها﴾

إن مهمة الدعوة والإصلاح والتغيير الإيجابي للأفراد والمجتمعات هي مهمة عظمى لا يطيقها ولا يتحملها إلا الرجال الأشاوس العظماء الذين هم عماد الأمة؛ فهي مهمة صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات ربنا وتسليماته.

يدفعهم إليها تعظيم الله وشرعه الحكيم، وثِقل الأمانة والإحساس العميق بالمسؤولية مع حب الخلق ورحمتهم والخوف عليهم من الشقاء والخسران في الدنيا والآخرة.

فلنشمر عن ساعد الجد يا إخواني الدعاة الأفاضل، ولنجتهد في إصلاح أنفسنا، وإصلاح مجتمعاتنا.

ولنستخدم الأسلوب الأنجح والأنجع؛ فأساليبنا الدعوية تحتاج إلى تعديل وتطوير، ولنتفنن في كسب القلوب قبل كسب المواقف.

ولنحاول التأليف لا التفريق، والتبشير لا التنفير، ولنطرح دعوتنا ببساطة، ولنبتعد عن التعقيد، والغموض ولنبدأ بالأهم فالمهم.

أهم المهمات هو تحقيق توحيد الله، وتحقيق الإيمان به، والعمل بالفرائض والواجبات من العبادات، والمعاملات،

والأخلاق، وتخليص الناس كذلك من الشرك والبدع المغلظة والمخففة، والموبقات والكبائر، والمنكرات في الأقوال والأفعال.

وليصاحبنا في ذلك فقه الأولويات، ودرء المفاسد الردية، وتحقيق المصالح المرعية والتحلي بالربانية، والبصيرة والحكمة، والحلم والصبر، والتواضع والأناة، والتبشير والتيسير، مع الابتعاد عن الظلم والصعوبة والطيش والعجلة، والضجر، والتعسير، والتنفير.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[فصلت: ٣٣]؛ وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ٠٨]، وقال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ٢٥].

وعن أبي قلابة أن أبا الدرداء: ﷺ مر على رجل قد أصاب ذنبا، فكانوا يسبونه. فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله ﷻ الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي[1].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١/ ٢٢٥)].

فاللَّهُمَّ اجعلنا من خيرة الدعاة إلى سبيلك، وارزقنا التوفيق والتسديد، والقبول، يا رب العالمين.

﴿النجاة في الوسطية والاعتدال﴾

الفكر الحر المعتدل السديد، والمنهج الوسطي الشامل العميق؛ هما قائدا الأمة إلى طريق النجاة.

وهما منقذا الأمة من طريق الهلاك؛ فلا سبيل لنهوض أمتِنا من كبوتها إلا بإعادة هيكلة الفكر والمنهج، وتجديدِهما، وإعادة بثِّهما بصورة مشرقة تجمع بين الآصالة وبعد النظر، والعمق، والشمولية، ثم تربية الناس عليه تربية راشدة.

وبهذا نستحق النصر- فيتنزل نصر- الله علينا، ويحصل لنا العز والتمكين بإذن الله.

أما محاولة قيادة الناس بالفكر المتعصبِ الإقصائي سواء كان قد تسَمَّى أم تمسح بالسلفية تارة، وبالإخوان تارة، وبالجهادية تارة وهكذا، ولا أقصد إلا البعض منهم.

فهذا لن يحقق للأمة إلا مزيدا من التشتتِ، ومزيدا من الفرقة، ومزيدا من الشحناء، ومزيدا من الذل والهوان؛ لأنه بكل بساطة خلاف منهاج نبينا وحبيبنا محمدِ ﷺ، وخلاف هدي أئمة الصحابة، وفقهائهم الكرام.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

عن المعتمر بن سليمان التيمي رحمه الله قال: مات صاحب لي كان يطلب معي الحديث، فجزعت عليه، فرأى أبي جزعي عليه. فقال: يا معتمر كان صاحبك هذا على السنة؟ قلت: نعم! قال: فلا تجزع عليه، أو لا تحزن عليه[1].

وهذا ما حصل من الرافضة، والخوارج، والمعتزلة، والمرجئة ومن سار على طريقتهم والعياذ بالله. فإنهم شاقوا الرسول، واتبعوا سبيل غير المؤمنين، فأظلمت عليهم السبل، وتخبطوا في ظلمات الجهل والحيرة.

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٣/ ٣١].

طريق النهوض بالإسلام

نضج الفكرة مع وضوح المنهج.

وقوة الطرح مع جمال الأسلوب.

وصدق النية مع خلوص النصح.

وملامسة الواقع مع استلهام المستقبل مع الثبات على المبدأ.

والتضحية من أجله.

مع الروحانية العالية، والطاقة المتدفقة مع الشفافية، والسهولة، والبساطة، والغوص في الأسرار، والعمق مع الآصالة.

كل تلك العوامل مجتمعة تصنع نهضة فكرية تربوية عالمية تنهض بالإسلام الحق من جديد، وتقيم أمره، وتظهره على الدين كله؛ فتنفخ في روحه، وتبث روحانيته.

وترفع الذل، والهوان عن المسلمين، وتعيد لهم مجدهم التليد وتسعدهم، وتبهجهم من جديد، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]، ويقول ﷻ: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

طوق النجاة لأمتنا المرحومة

التربية الإيمانية، والمنهجية، والسلوكية هي طوق النجاة لأمتنا الإسلامية التي غيبت عن طريق عزها، وسؤددها لعقود طويلة من الأعداء الظاهرين، والأعداء المستترين.

فلنبدأ بتربية أنفسنا على اليقين بالله، واليقين بوعده الصادق لنا في الدارين، واليقين بأسس ديننا المتينة، وأخلاقه العظيمة، وقيمه الكريمة، ومقاصده الحكيمة، وآدابه الجليلة.

لنعمل جميعا بأيد متكاتفة، وخطط واضحة رشيدة، وجهود مكثفة متضامنة على ترسيخها في مجتمعنا بكافة الطرق، والوسائل السديدة بالتعليم، والتفهيم، والإرشاد، والتوجيه والمواقف المؤثرة الفريدة والقدوة الحسنة الرشيدة.

فرب موقف نبيل واحد يحمل في طياته دروسا وعبرا للعديد من الناس ولأعوام عديدة يبقى أثره الإيجابي المبارك في القلوب والنفوس.

وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه[1].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠/ ٦].

فلنبذر البذرة الطيبة، ولنتعاهدها بالسقاية والرعاية بصبر ويقين وثبات حتى تصبح شجرة طيبة مباركة تؤتي أكلها كل حين بأمر ربها.

ولنتلاقى على المشاريع المدروسة البناءة، الروحية، والإيمانية، والفكرية، والمنهجية، والسلوكية، والأخلاقية.

ولنبذل فيها الغالي والنفيس، ولنسخر فيها الطاقات الخيرة، ولننسق فيها بين الجهود المباركة لتحقيق الأهداف المأمولة، حتى يظهر الجيل الموعود بالنصر المبين، وحتى يعود للأمة عزها وسؤددها[1]، وحتى نبتهج جميعا بالعز والتمكين.

قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فاللَّهُمَّ سخر لأمتنا من يقوم بذلك على الوجه المطلوب، وأعنه، وأيده، وأرشده، وسدده؛ يا رب الطيبين.

---

(١) [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ٢٩٤].

كارثة انقلاب المفاهيم وتحريفات الدين

نشهد في السنوات الأخيرة تبدلا خطيرا ومخيفا ومرعبا، في العقائد والعبادات، والمعاملات، والقيم، والأخلاق، والسلوك.

فقد ترك بعض الناس الدين الحقَّ وبدلوه، وغيروه، وحرفوه، واستبدلوه بالهوى والمصلحة، حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والتمسك بالسنة تنطعا وتشددا، والانفلات من السنة تفتحا وتقدما، وغدت المراوغة شطارة، واقتحام الحرام شجاعة، والقسوة والعنجهية قوة وحزما.

وبالمقابل وللأسف التواضع أصبح ضعفا وخورا، والحلم خوفا وجبنا والطيب والعفوية بلاهة، والمبادرة للصلح انكشافا وانهزاما، والقناعة كسلا وخمولا وهذا تسبب وللأسف في تشكل قناعات مفزعة عند الجهال، ورأي عام مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهدي سلفنا الصالح من أئمة الصحابة والتابعين، وهو ينذر بغضب الله قد يحل على الجميع، وبوقوع عقوبات عامة لا تستثني أحدا عياذا بالله تعالى.

عن عيسى بن يونس قال: ما رأينا في زماننا مثل الأعمش رحمه الله، ولا الطبقة الذين كانوا قبلنا، ما رأينا الأغنياء

والسلاطين في مجلس قط أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم![1].

فقد أصبح المؤمن الصادق الصادع بالحق الذي لا يميل ولا يزيغ، ولا يحيف ولا يمشي على أهواء ورغبات الجائرين المتسلطين أصبح غريبا في أسرته، غريبا في قبيلته، غريبا في بلده، يستباح عرضُه، وتشوه سمعته، يبهت، ويقذف ويغتاب، ويتفكه على عرضه في المجالس.

وأصبح كل رويبضة تافه جويهل يتصدر المجالس، ويفتي في النوازل والمدلهمات، ويعظَّم تعظيم الوجهاء، وينزل منزلة العظماء مع أنه لم يعرف بورع، ولا بفقه وفهم، ولم يحصل على تأهيل من العلماء الربانيين فيفتي بهواه أو بهوى حزبه، أو بهوى جماعته وأحبابه وشركائه، أو بهوى الحكام المتسلطين ،أو بهوى من يحصل منهم على مصلحة له جلية أو خفية؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأصبح الدين ألعوبة بيد هؤلاء الذين لا يخافون الله، ولا يخافون يوم الحساب وقد قال النبي ﷺ: ﴿إذا رأيت شحا مطاعا

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥/ ٤٧].

وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة﴾[1].

سئل بن المقفع عن الهوى فقال: هوان سرقت نونه؛ فأخذه شاعر فنظمه وقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر:

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كائنا من كانا[2]

فلنتدارك الأمر يا إخواني الطيبين بالاعتصام بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح، والتمسك بمنهاج العلماء الربانيين الراسخين المشهود لهم بالزهد والورع، والبعد عن الجاه والسمعة وعن زخارف الدنيا وزينتها، وإحياء فقههم والتشبث بعلومهم حتى نرد الأمة إلى دينها.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٣٤١) والترمذي برقم (٣٠٥٨) وابن ماجه برقم (٤٠١٤) عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ في سياق طويل، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، وله شواهد يرتقي بها إلى الصحيح لغيره، ويظهر على جمل الحديث بهاء النبوة.

(٢) [البديع في نقد الشعر ١/ ٣٠].

وقد أشار نبينا الكريم ﷺ إلى أن الله سيسلط علينا ذلا كبيرا من أعدائنا، وأنه لن يرفعه عنا أبدا حتى نراجع ديننا، ونتمسك به من جديد حقا وصدقا في كافة مناحي الحياة.

فاللّٰهُمَّ ردنا إلى ديننا ردا جميلا، وأحينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بالصالحين يا رب العالمين.

إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق

تأملت أكثر من عشرين حديثا صحيحا في فضائل أمة محمد ﷺ، وأنها خير أمة أخرجت للناس، وأنها أمة مرحومة، وأن ثلثي أهل الجنة منها، وأحاديث كثيرة في تميزها، وفضائلها.

وللأسف فقد وجدت بعض المشايخ والدعاة الذين لم تترسخ قدمهم في علوم الشريعة يضيقون دائرة الفرقة الناجية يوم القيامة؛ فيخرجون منها كل من انتسب للأشاعرة، أو الماتريدية، ونحوهم، كالإمام النووي، والعز بن عبد السلام، وابن حجر، والسيوطي؛ وغيرهم، ويخرجون كل من خالف مشائخهم من دائرة أهل السنة والجماعة.

وكأن أحدهم هو رضوان عليه السلام الذي بيده مفتاح الجنة، وكذلك ينظرون للعصاة من أمة نبينا محمد ﷺ نظرة غضب، وقسوة وانتقام مع أن النبي الرؤوف الرحيم بأمته ﷺ يقول: ﴿شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي﴾[1].

فأصبحت وللأسف هذه الأمة الإسلامية في منهج وفكر هؤلاء الغلاة المتشددين ليست أمة مرحومة محبوبة من الله بل أمة مغضوب عليها وهالكة، ومعذبة.

---

(١) [رواه أحمد برقم (١٣٢٢٢)].

فأنبه جميع الأخوة إلى حسن الظن بالله وحسن الظن بالمسلمين كافة وعدم الحكم عليهم بفسق، أو بدعة، أو كفر، أو شرك، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب؛ وإنما ننصحهم بلطف مرات، ثم ننهاهم عن المنكر ونشدد في النهي ولا نشاركهم فيه.

ومع هذا فإننا لا نيأس منهم، ولا نحكم عليهم بالسوء؛ بل ندعوهم للإكثار من الاستغفار، والأعمال الصالحة، والعبادات والحسنات الماحية للسيئات ونلح على الله بالدعاء لهم بالمغفرة، والهداية، والصلاح، ولا نهجرهم؛ إلا إذا أصروا على منكر عظيم شنيع مجمع عليه بين العلماء، وليس مسألة خلافية بين الفقهاء.

فنحن أمة عظيمة مرحومة من رب العالمين، رحيمة بالعالمين؛ فكيف لا تكون رحيمة، بالمسلمين الموحدين.

نرجو الله تعالى أن يدخلنا وإياكم في رحمته، ووالدينا ووالديكم وذرياتنا وأزواجنا وأمواتنا، وأموات المسلمين كافة.

وعن أبي أسامة قال: سمعت سفيان الثوري رحمه الله يقول: إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه[1].

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات؛ الأحياء منهم والأموات.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٦/ ٣٦٧].

خطورة الجرأة على الدين

مرجعيتنا المعصومة هي في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ بفهم الصحابة رضوان الله عليهم، والذي يعرف ذلك حق المعرفة هم العلماء الربانيون الراسخون الذين أمرنا الله أمرا صريحا بالرجوع إليهم في فهم أحكام الدين جملة وتفصيلا في العبادات، والمعاملات، وغيرِها حتى ننجو من الهلاك والخسران المحقق.

قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

أغلب الكتابات، والتعليقات، والمقالات، والأبحاث في وسائل التواصل: "تويتر، فيس بوك، واتس آب؛ وغيرها" فيها جرأة عظيمة وعجيبة على الدين مع عجب، وغرور وسماجة.

فهذا يقول: رأيي كذا وكذا، وأخر يقول: قناعتي كذا وكذا وثالثٌ يقول: ارتاحت نفسي لكذا!.

من سمح لكم بأن تبدو آراءكم الخاصة في دين الله؟! ؛ هل هو كلأ، مباح لكل أحد؟! ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لو كان عمر بن الخطاب ﷺ حيا لحجر على كثير من الكتاب والكاتبات وسجنهم.

إن من الخطورة الشديدة القول على الله بغير علم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

لا تستهينوا بعلماءَ أفنوا أعمارهم، ووصلوا ليلهم بنهارهم لسنوات طويلة في حفظ العلم، ومدارسته، ومراجعته، وبذلوا الغالي والنفيس حتى حصلوا علما غزيرا مع حذق، وفهم ونباهة، وإتقان لقواعد الشريعة، ومقاصدها العامة.

لا تظنوا أنكم إذا طالعتم عشرين كتابا فقد تأهلتم للخوض في علوم الشريعة!.

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: كان يقال: إذا لقي الرجلُ الرجلَ فوقه في العلم، كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إماما في العلم من يحدث بكل ما سمع ولا يكون إماما في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إماما في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ: الإتقان [1].

فخلاصة الكلام: أنه ليس هناك طريق أسلم، ولا أحكم من طريق متابعة العلماء الراسخين الربانيين الذين هم ورثة

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٩/ ٤].

الأنبياء، فلنتمسك بـه ولنصـبر عليـه حـتى نكـون على بصـيرة والله المستعان.

الخير في الاتباع والشر في الابتداع

عاش الناس في القرون الثلاثة الأولى المفضلة معظمين للسنة متمسكين بها في سائر شؤونهم، متبعين لا مبتدعين غير غالين، ولا جافين.

رفعوا راية السنة خفاقة مرفرفة فوق هامات المبتدعة الضالين؛ فذاك خارجي متطرف ثائر، وهذا رافضي بغيض مخرف، وبينهم جهمي بليد معطل، ومعتزلي قدري مغرور بعقله.

قال يونس بن عبيد رحمه الله: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة وأعجب منه من يجيب إلى السنة فيقبل [1].

فقام أئمة الصحابة والتابعين المرضيين وأتباعهم؛ فأظهروا العقيدة الإسلامية الوسطية في أبهى صورها، وبينوها بيانا كافيا وافيا شافيا، وأظهروا أخلاق الإسلام في أجمل حللها؛ فتخلقوا بها ظاهرا وباطنا.

كانوا أقل الناس كلاما وتكلفا، وأكثرهم إيمانا وحكمة، ثم عملا وجدا واجتهادا؛ كما هم أجلُ الأمة قدرا، وأعظمهم شأنا.

زجروا أهل البدع عن بدعهم، واجتنبوا أحاديثهم، وهجروهم في مجالسهم وحذروا الناس من زيغهم، نصحا للأمة،

---

(١) [شرح السنة ١/ ١٣٤].

وإقامة للحجة وتبيينا للمحجة حتى استقامت الأمة في عهدهم إلا قليلا.

قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

فلنسلك مسلكهم، ولنتتبع طريقهم، ولنقتف آثارهم، ولنحرص على ذلك ولنستمسك بمنهاجهم ونهجهم.

فلعلنا بذا ننجو من الفتن في الدنيا، والعذاب في الآخرة؛ فهم المهتدون المنصورون في الدنيا، والناجون الفائزون يوم القيامة.

فاللّٰهُمَّ يا ربنا اهدنا لما هديتهم إليه، ودلنا على الطريق الذي أوصلهم يا ربِّ إليك، وثبتنا على ذلك إلى يوم نلقاك يا رحيم يا ودود.

قل خيرا أو اصمت

اللسان هو العضو الأخطر على الإنسان لأنه به يدخل الإسلام، وبه يخرج منه وبه قد يصلح أمة بأكملها، وقد يفسد به الأمة كلها، فكل كلمة تتلفظُ بها فلها أثر كبر أم صغر، وكل عبارة تطلقُها فلها تأثير شئت أم أبيت.

فمن الكلمات ما يكون بلسما للروح، وللقلوب، ومنها ما يكون كالسم الزعاف للنفوس، والقلوب.

فلنتنبه إلى ما يَجرح الآخرين فلنتركه، ولننتبه إلى ما يؤلم الآخرين فلنتجنبه.

ولنحذر من زلات، وعثرات، وفلتات اللسان؛ فكم من كلمة أردت صاحبها صريعا وقتيلا، وكم من كلمة أحدثت حسرة وويلا وعويلا.

وكم من كلمة أججت نار الحقد، والعداوة، وكم من كلمة أذهبت عن القلوب الحلاوة، والطلاوة.

وكم من كلمة كسرت قلبا، وكم من كلمة جبرت كسرا، وكم من كلمة أحدثت بعد الحب كرها، وكم من كلمة أحدثت بعد الكره حبا.

وكم من كلمة أحدثت بعد البعد قربا، وكم من كلمة أحدثت بعد القرب بعدا.

وكم من كلمة أحدثت في الإسلام ثلما، وكم من كلمة رأبت في الأمة صدعا ورب كلمة قالت لصاحبها دعني؛ وكما جاء في توجيه الحبيب ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»(١).

ماذا يضرك أن تحبسَ لسانك، وماذا يَضِيرك أن تطبق شفتيك، وهل أحدٌ يجبرك على النطق والكلام؛ أم أن هنالك من يعاقبك على الصمت، بل أنت من ربَّى نفسه على الخوض في كل شيء، وإبداء الرأي في كل موضوع وقضية والدخول والتدخل فيما لا يعنيك وإيذاء من لم يضرك ولم يؤذك.

وقد حذرك ﷺ بقوله: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟! »(٢)، وجعل المسلم حقا وصدقا من سلِم الناس من أذاه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣)، فبدأ بإيذاء اللسان لأنه أشدُ وأنكى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ واقتصرا على شطره الأول، وأخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (٢٦٢٧)، وابن حبان (١/ ٤٠٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٢) من حديث فضالة بن عبيد ﷺ.

فالواجب علينا جميعا ضبط اللسان، وتقليل الكلام ما أمكن، والبعد عن الخوض فيما لا يعني، واشغال اللسان بالذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، في كل حين وآن، وعلى كل حال، وفي كل زمان.

وعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر[1].

فاللَّهُمَّ طهر ألسنتنا من الخوض باللغو، والباطل، وحلها باللهج بذكرِك قياما وقعودا، وعلى الجنوب.

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٨].

أهل الهوى والتعالي

عايشنا أناسا لسنوات عديدة يحاربون الطغاة باسم الدين، وهم في حقيقتهم طغاة عتاة متجبرون، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا إلا ما أشرب من هواهم، وما أملاه عليهم حزبُهم.

ومجموعتهم تتجارى بهم الأهواء، وتتحكم فيهم ويتسلطون على الناس باسم الدين.

فوالله إن جهادهم لفرض، وإن هجرانهم لواجب، وإن السكوت عنهم لخذلان، وإن مجاملتهم لمصيبة، وإن بداية المخرج للأمة بفضحهم، وكشف زيوفهم.

فقد حرفوا السنة باسم أهل السنة، وقد رسخوا البدع باسم محاربة أهل البدع ترى أحدَهم يتبجح بنصرة الدين؛ وعند التأمل تجده ينصر ذاته، ويعلو في الأرض، ويعبد الجاه ويقدس المال، ويسعى نحو السمعة.

قال أبو قلابة رحمه الله: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم[1].

---

(١) [الشريعة / ٦٥ - ٦٥].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]،

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

فيا ربنا، ويا إلهنا، ويا سيدَنا سخر لهم يدا من الحق حاصدة تريح الأمة من فسادهم، وتلبيسهم.

ليس في الدين أن نقدس جبـ ـبَّارا ونحني جباهنا للدنية
فالخضوع الذليل في غير وجـ ـه الله رجعى بنا إلى الوثنية

الصبر مفتاح الفرج

حقيقة حبس النفس عن كل ما لا يحمد، والزام النفس بما يلزم من واجبات وحقوق، والانضباط، والهدوء، والتسليم وقت المصائب قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٥٣].

وقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٢٧].

فمنزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، والصبر يدخل في كل التكاليف الشرعية؛ لأن تأدية العبادات على الوجه المطلوب منك شرعا من جهة الوقت، والصفة، والكيفية، يحتاج إلى صبر ومصابرة وتصبر، وتحمل والتزام، وثبات حتى تتم على ما يريده الله تعالى منك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والصبر، والتصبر يدربك على قوة العزيمة، وصلابة الإرادة، وطول النفس فهو منحة عظيمة، ومنة كبيرة من الله عليك، أن يعطيك سعة البال، وطول النفس، والصبر.

فليكن ديدنك أن تدعو ربك قائلا ومكررا: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

فكم من تلاميذ مبتدئين صغار تخرجوا من مدرسة الصبر أساتذة مربين كبار لأنهم خاضوا التجربة بواقعية، وعايشوها

بتفاصيلها وتفاعلوا معها بأنفسهم بدون وكالة، وتذوقوا مرارتها التي يعقبها حلاوة في آخر المطاف.

فجزاء الصابرين في الدنيا النجاح الكبير، والظفر بالمطلوب وجزاؤهم في الآخرة الثواب والأجر العظيم الذي لا يعد ولا يحصى ـ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فتذكر يا رعاك الله: أنك كلما حبست نفسك على إتمام أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية المادية، أو المعنوية واجتهدت، وحرصت على أدائه بإتقان؛ فإنك تكسب مكاسب كبيرة جدا، ومن كافة الجوانب قبل تمام الأمر، وبعد تمامه، في الجانب الروحي، والنفسي ـ، والفكري، والجسدي؛ لأن النفس الإنسانية قابلة للتعلم والتطور.

ولتتنبه إلى: أن الصبر الحقيقي يقبله الله عنده عبادة جليلة إذا مارسه المسلم عند الصدمة الأولى، وعند أول وهلة كما جاء في الحديث الصحيح: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[1].

فإذا أخبرك أحد بخبر مزعج، أو مغضب، أو محزن؛ فيجب أن تتذكر عبادة الصبر العظيمة فتلتزم بالرضى، وتتقبل الأمر،

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وتكظم غيظك، وتقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللَّهُمَّ أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها.

لأنه لا يصح صبرك إلا بأن تحبس نفسك عن التسخط، وتحبس لسانك عن التشكي، وتحبس جوارحك عن فعل المحظور فتحقيقك للصبر فيه مكسب لك من عدة جهات.

وجزعك، وغضبك فيه خسارة عليك من عدة جهات؛ أولها أن فيه خسارة للأجر والثواب، وثانيها أنك لن ترد بجزعك مفقودا، ولن تدفع به كربتك ولن تصلح به أمرك، وثالثها أنه سيصيبك بعد جزعك هم، وغم متواصلا قد يتسبب لك بأضرار مضاعفة على المصيبة التي أنت فيها؛ فليس لنا إلا الصبر واحتساب الأجر.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنا قوما يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، ومرنا عليه وصبرنا له ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي؛ فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم استفها، وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا[1].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١/ ٩٣)].

فاللَّهُمَّ أفرغ علينا الصبر إفراغا، وأجزل لنا في العطاء، ورضنا بما قسمته لنا واصرف عنا ما يضرنا في الدارين يا ربنا يا رحمن يا رؤوف يا رحيم.

محاسبة النفس فوزٌ

فمن راقب نيته أصابه الخوف والوجل من ربه الجليل، وسعى إلى تصحيحها وتسديدها؛ فلا تكن ممن يخادع الله، والذين آمنوا، فتصبح ممن يخدع نفسه على الحقيقة من حيث لا يشعر: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ٩].

فراقب نيتك، وحاسب نفسك، ولتكن نيتك الخير والبر والنفع لكل مسلم؛ تسعد وتفلح، وتنجح؛ فكل نية تنويها فإنها ستعود عليك اليوم أو غدا، ولا مفر لك من ذلك!.

قال إسماعيل بن زياد: قدم علينا عبد العزيز بن أبي سلمان رحمه الله في بعض قدماته فأتيناه نسلم عليه، فقال لنا: صُفُّوا للمنعم قلوبكم يكفيكم المؤن عند همكم، ثم قال: أرأيت لو خدمت مخلوقا فأطلت خدمته، ألم يكن يرعى لخدمتك حرمة، فكيف بمن ينعم عليك، وأنت تسيء إلى نفسك، تتقلب في نعمه، وتتعرض لغضبه، هيهات همتك همة البطالين، ليس لهذا خلقتم ولا بذا أمرتم، الكيس الكيس رحمكم الله تعالى. وقال عبد الله بن إدريس رحمه الله: لو أن

رجلا انقطع إلى رجل لعرف ذلك فكيف بمن له السموات والأرضون[١].

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٧٠].

لا تأخذك في الله لومة لائم

كن شجاعا في قول كلمة الحق، صريحا في تبيان طريق الهدى، ولا تخش إلا الله ربك، ومولاك الحقّ، ولا تلتفت بقلبك إلى أهل الباطل راجيا رضاهم بسخط ربك الجبار؛ فتداهنهم، وتسايرهم على باطلهم، وتزين لهم طريق الردى والغواية!. فسكوتُك عن بيان الحق لهم جبن وخيانة؛ وتزيينك لباطلهم غش ونفاق وتدليس، ونصرتك لهم ظلم، وبغي، وعدوان؛ ورضاك بباطلهم فيه خطر على الإيمان!.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: كان يقال: اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها[1].

فعش بالحق، وكن له متبعا، ومؤيدا، وظهيرا، وارض ربك الحقَّ، وسيكون لك وليا ونصيرا، واحتسب أجرك بقيامك بأمره، وأكثر من دعائه، وذكره وشكره، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [ال عمران: ٣١].

وقال: ﷻ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٧/ ٣٠٦)].

يا أيها الجويهل المعجب المغرور

كفاك عجبا برأيك الأعوَج، كفاك اتباعا لهواك المنحرف، كفاك تيها وزهوا بنفسك، كفاك فخرا بإنجازاتك.

مشيتُك عجيبة، وحركاتُك مريبة، تتدخَّل في كل موضوع وقضية، وتعرف كل شاردة وواردة.

تقيم الناس أجمعين وتنتقدُهم، تحتقر الناس وتستصغرُهم، وترى أنك الكامل المكمل! ؛ وأن غيرك ناقص مذمم.

ألا فلتستفق من غفلتِك ولتستيقظ من رقدتِك، انظر إلى نقصك وعيبك واعترف بخطئك وجرمك، وانكسر بين يدي ربِّك، ثم تواضع لعباد الله.

إن رأيت من هو أكبر منك فقل لقد سبقني بالحسنات والطاعات، وإن رأيت من هو أصغر منك فقل لقد سبقتُه في اقتراف السيئات.

تذكر قدرة الله عليك، وقهره لك: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٨].

وتذكر عاقبة الغرور والمغرور، حيث أن الله ﷻ بحكمته وقوَّته، يخسف به الأرض، ويخسف قدره في قلوب الخلق، ثم يذيقه الذل والهوان ولو بعد حين وزمان؛ فإن لم تنفعك الذكرى والموعظة؛ فانتظر من الله عقوبة أليمة موقظة.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل بأي شيء يعجب؟ [1].

راقب علاقتك بربك ومولاك، العظيم الكريم الرحيم.

فاللَّهُمَّ طهرنا من العجب والغرور، ومن سائر الآفات، والشرور إنك رحيم لطيف، غفور شكور.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٩/ ٢٦٣)].

أيها المغرور المعجب بنفسه

أيها المغرور المعجب بنفسه قف عند حدِّك فلن تعدو قدرك! يعطيك الله نعما، أو مواهب فريدة، علم، أو حديث أخاذ، أو وجاهة أو ذكاء أو جمال، أو مهارة، أو نجاح في عدة أعمال؛ فتختال وتتبختر وتظنُّ بنفسك أنك قد بلغت الجبال طولا؟!

تتباهى بمواهبك وإنجازاتكَ، وتتفاخر بها، وتنتشي من إطراء نفسك وإظهار فضلك!.

تتطاول، وتمتنّ على الأصحاب، والأقران، والخلان، وتعظم نفسك وتكبر في عينِك، وتظنّ أنك أعظم إنسان، تنظر للناس باحتقار وازدراء، ونقصان، تسخر من هذا، وتستهزئ بذاك، وتنتقصُ هذا، وتعيب ذاك!.

تقيم الناس وتحكم عليهم باستمرار، وإذا ذكر الناس في غيرِك ميزة سلبتها ونفيتها عن صاحبها، وإذا مُدِحَ غيرُك بشيء في حضرتك ذممته، واغتبته، وبهته، تنتفخ أوداجك عند توجيه النقد لك، ولكنك تتفكه بنقد الناس، والطعن فيهم وثلبهم!.

معيب على الإنسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

ولو كان ذا عقلٍ لما عاب غيره ... وفيه عيوبٌ لو رآها بها اكتفى

فويل، ثم ويل، ثم ويل؛ لكل همزة لمزة، طعان لعان مشاء بين الناس بالنميمة: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١].

ألا فانتبه يا أيها المغرور المعجب بنفسه، فقد يسلبُك الله نعمته بغتة عقوبة منه لك، وقد يقلبها عليك نقمة بغتة: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقال ﷺ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(١).

(١) [أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ].

الرجل الأجوف التافه الخب المخادع

ينتفخ، ويتكبر، ويغتر، ويَعجبُ بنفسه، ويتعالى على الناس عند حصوله على مال وفير، أو جاه عريض، أو شهرة واسعة، أو وظيفة مرموقة!

يتعالم ويتظاهر بالعلم وهو في حقيقته جاهل ساذج، يتعامل بلطف وبلسان أحلى من العسل وهو في حقيقته شرس عنيد، قلبه قلب ذئب مفترس، ويتسلم أعلى المناصب الدعوية، والقيادية وهو رجل سطحي، فارغ خاوي من الداخل؛ إلا من مظاهر جوفاء، وشعارات براقة كاذبة.

يمجِّده من حوله لسذاجتهم، وينخدعون به لطيبتهم، ويسلمونه قيادهم لبساطتهم، يتسلم القيادة وهو في حقيقته رجل مهزوز، مذبذب لا يصلح أن يكون إلا في مؤخرة الركب، وليستِ المشكلة الكبرى فيه، ولكنَّ المشكلة فيمن يسانده، ومن يسوِّق له ويعمل دعاية له تملأ الآفاق!

فيا إخواني ويا أخواتي: لنخالط الناس مخالطة جيدة قبل تزكيتهم وتعديلهم ولنختبرهم، ولنجربهم قبل دعمهم وتسليم القياد لهم، ولنعوِّدهم، وليتعودوا منا على النصح الصادق المتتابع، والنقد البناء الجريء، قبل أن يصيبهم جنون العظمة فيتفرعنوا،

ويتمردوا ويأخذوا بأيدينا إلى الهاوية، وقبل أن يصبحوا فوق النقد، وفوق العتاب، وفوق الحساب.

فيا أمة محمد ﷺ كونوا على حذر ولا تَقبلوا بتسليم زمامكم لأحد إلا بعد معرفة منهجه وسلوكه، وكفاءته وبعد اختباره وتجريبه في المواقف الحقيقية الجادة حتى يتبين معدنهُ وتخرج خبيئته من قلبه على فلتات لسانه فالمؤمن كيس فهيم فطن، وليس كيسا مليئا بالقطن، ولست بالخبِّ، ولا الخبُّ يخدعُني.

قال وهيب: جاء رجل إلى وهب بن منبه رحمه الله فقال: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وقد حدثت نفسي ـ أن لا أخالطهم، فقال: لا تفعل فإنه لا بد للناس منك، ولا بد لك من الناس، لهم إليك حوايج، ولك إليهم حوايج ولكن كن فيهم أصم سميعا، وأعمى بصيرا وسكوتا نطوقا [1].

فاللّٰهُمَّ ألهمنا رشدنا، واعزم لنا على أرشد أمرِنا، واجعلنا للمتقين إماما يا رب العالمين.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٨/ ١٤٤].

بين الالتزام الحق والالتزام الأجوف

الحرص على الالتزام والاستقامة، وطلبها والسعيِّ إليها؛ هو مقصد ومطلب الكثير من أهل الخير المتحمسين لطلب رضوان الله.

وفي أول محطة من محطات الاستقامة نجد السالكين فيها يتحمسون ويجتهدون في الحرص على أداء السنن - فضلا عن الفرائض - والتمسكِ بها بقوة والثبات عليها، وتحقيق الولاء، والبراء، والحب في الله، والبغض في الله.

ثم المحطة الثانية يكون فيها تراجعٌ نوعا ما فيثبتون على أداء الفرائض ويثاقلون عن أداء السنن والمستحبات.

وتأتي المحطة التي تليها عند بعضهم - وليس كلهم - وللأسف الشديد فيتكاسلون في أداء الفرائض، ويتساهلون في ارتكاب الكبائر، والوقوع في الغيبة، والنميمة، والكذب، وجميع آفات اللسان وتَلَقِّي الشائعات وترويجها ونقل الأخبار بدون تحري ولا تثبت، والحكم على الناس بل على نياتهم بدون تثبت، ولا تأني، ولا ورع وتخوينِهم، وتكفيرُهم، وتبديعُهم بمجرد الشك أو الظن.

وقد قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»(١).

فيجمعون من سيئات اللسان ما لا يستطيع جمع معشاره المنحرفون المفرطون التائهون.

ويتمادى الأمر ببعضهم فيتكبر على الناس، ويعامل عوام المسلمين المقصرين بانتقاص، وازدراء، واحتقار، واستهتار؛ وكأن بيده صكوك الغفران يهبها لمن يشاء، ويمنعها عمن شاء.

وكأنه ضمِن الجنة لنفسه وأصبح خازنها، وغدا مِفتاحُها بيده اليمنى وما علم هذا المسكين أن الذي يتألى على الله لا يفلح أبدا.

فقد قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ ؛ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»(٢). وقال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣)؛ يعني يكفيه شرا ولا فخرا!.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال الصادق المصدوق ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره»[1]، ولا شك أن المتكبر القاسي الجعظري الجواظ من أهل النار عياذا بالله تعالى كما أخبرنا بهذا الصادق المصدوق ﷺ.

ألا وإن الإستقامة كل الإستقامة إنما تكون بتحقيق التوحيد الخالص والإيمان الصادق، وأداء الفرائض بحب، ورجاء، وخوف، ووجل واجتناب المحرمات، والكف عن الشهوات، والشبهات، والمسارعة لأداء السنن والمندوبات، والمستحبات، وتحقيق الولاء والبراء والحب في الله ولله، والبغض في الله ولله، والتحلي بالأخلاق الكريمة وعلى رأسها الصدق، والأمانة والعفاف، والصلة، والكرم والتواضع، والشجاعة، وجماعُها السماحة.

فالمؤمن هين لين سهل قريب، التزم بكف الأذي القولي، والفعلي عن المسلمين أجمعين، وصيانة دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، والذبِّ عنهم، ونصرتِهم مع الدعاء، والابتهال إلى الله بالقبول.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٥٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال: صحيح حسن من هذا الوجه.

عن أنس قال: تقرقر بطن عمر رضي الله تعالى عنه وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرم على نفسه السمن. قال: فنقر بطنه بأصبعه وقال: تقرقر ما تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس [1].

فاللَّهُمَّ أجرنا من الشرك، والزيغ، والكفر، والانحراف، وحققنا بالتوحيد والإيمان، والاستقامة قبل حلول يوم الحشر والندامة.

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١/ ٤٨)].

رجلُ العصر الحديث

رجل العصر الحديث مثقل العقل بكم كبير من المعلومات المتنوعة والمتناثرة وقتهُ مملوء بمشاغلَ كثيرة فرضتها عليه ظروف الحياة العصرية ومتطلباتها. يعيش مشتتا بتركيز ضعيف، أو معدوم، ونشاط، وحركة كثيرة ومثيرة، يسعى نحو قوت يومه سعيا حثيثا حتى يسد رمقه، أو يكاد. فقد محقت البركة من أوقاتنا فنجد الأيام، والشهور، والسنوات تمضي سراعا ومحقت البركة في الأجساد؛ فنجد الأمراض تفتِك بها فتكا وتفتها فتا.

فليس لنا بعد ذلك إلا كثرة الاستغفار، وكثرة الابتهال، والتضرع إلى الله والبكاء بين يديه بأن يبارك لنا في أنفسنا، وأعمارنا، وأعمالنا وذرياتنا؛ ثم التخلص من فضول الكلام، والنقاشات، والجدالات والتخلص من فضول المخالطة، والمجالسة، والتخفف من فضول حاجيات، وكماليات الحياة؛ ثم الاهتمام العظيم بأمور الآخرة والاستعداد لها؛ قال ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧].

عن الأوزاعي رحمه الله أنه قال: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوما فيوما وساعة فساعة فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه

عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم[١].

فمن أصلح دينه، وآخرته؛ أصلح الله له دنياه؛ فيا رب تولنا فيمن توليت.

قال أبو إسحاق الألبيري:

تَفُتُّ فؤادك الأيام فتًّا ... وتنحت جسمك الساعات نحتا

وتدعوك المَنُونُ دعاء صدق ... ألا يا صاح أنتَ أُريدُ أنتا

(١) [المنتظم ٨ / ١٩٦].

الثبات على المبادئ كنز لا يفنى

ثباتك على مبادئك واعتزازك بها يمنحك طمأنينة وانشراحا، وراحة بال ويعطيك قوة وتماسكا وصلابة في الحقِّ؛ ويخلق فيك عزيمة صادقة، وإرادة حديدية، وهمة عالية عليه.

فتتدفق عليك طاقة إيمانية عالية لتفيض الحكمة على قلبك، فتظهر على لسانك فتكون مسددا موفقا بإذن الله تعالى.

فاثبت على مبادئك، وتمسك بها، وعضَّ عليها بالنواجذ

فاشدد يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان[1]

عن الحسن رحمه الله قال: كان والله من أدركت من صدر هذه الأمة ما قالوا بألسنتهم فكذلك في قلوبهم، كانوا والله موافقين لكتاب ربهم ولسنة نبيهم ﷺ فإذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يرغبون إلى ربهم في فكاك رقابهم، إذا أشرف لهم من الدنيا شيء أخذوا منه قوتهم، ووضعوا الفضل في معادهم، وأدوا إلى الله فيه الشكر، وإن زوى عنهم استبشروا وقالوا: هذا نظر من الله

---

(١) قصيدة "عنوان الحكم" لأبي الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي (المتوفى: ٤٠٠هـ).

واختبار منه لنا، إن عملوا بالحسنة سرتهم ودعوا الله أن يتقبلها منهم، وإن عملوا بالسيئة ساءتهم واستغفروا الله منها[١].

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا (١/ ٣٣١)].

ليكن ميولك وهواك وقرارك تبعا لهدي نبيك ﷺ

حياتنا التي نعيشها عبارة عن دوامة من المهام والأعمال والمشاغل الدينية والدنيوية المتجددة، التي تتخللها بعض المواقف التي تترك في نفوسنا انطباعات وأحاسيس ثم مشاعر إيجابية أو سلبية تدفعنا تلك المشاعر الجارفة لاتخاذ قرارات يكون لها الأثر الأكبر بعد قضاء الله وقدره في تحديد نهجنا وطريقة وأسلوب حياتنا التي تتجدد وتتطور وفق عواطفنا ورغباتنا.

وهذه هي حال أغلب الناس اليوم حيث تحكمهم تلك العواطف وتتحكم فيهم وتوجههم بدون أن يجاهدوا أنفسهم ليعرضوها على كتاب الله تعالى وهدي نبيه المصطفى الأمين ﷺ قبل اتخاذ أي مواقف أو قرارات، أو توجهات.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: من أراد الآخرة أضر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي [١].

وعن النضر بن إسماعيل، عن أشياخه، أنهم دخلوا على عبد الله بن عتبة رحمه الله، فأرم [٢] طويلا قال: تحبون أن أكتب

---

(١) [سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٤].

(٢) [سكت].

لكم الخير كله في ظفري؟ قالوا: نعم. فقال لهم: الزهد في الدنيا[١].

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[٢].

فمواقفك وقراراتك التي تتخذها فيما بينك و بين نفسك، أو فيما بينك و بين الناس من حب وبغض، أو إعطاء أو منع أنت مسؤول عنها في الدنيا والآخرة.

فيا أخي الكريم: لا تكن مزاجي ولا هوائي، ولا متلون، ولا متذبذب؛ بل اتبع نهج نبيك ﷺ حذو القذة بالقذة، وعض عليه بالنواجذ حتى تنجو من الفشل والندم، ثم الهلاك والخسران في الدين والدنيا والآخرة؛ قال الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ

---

(١) [الزهد لابن أبي الدنيا ١/ ٥٧].

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص١٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وقد أورده النووي في آخر الأربعين، وقال: «حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح». وانظر تعليل الحافظ ابن رجب للحديث في جامع العلوم والحكم (ص٣٨٧، ٣٨٨).

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٣-٢٦].

وقال الشاعر:

فاشدد يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان[1]

فيا رب وفقنا لمنهاج النبوة، وثبتنا عليه، وتقبله منا.

(١) قصيدة "عنوان الحكم" لأبي الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي (المتوفى: ٤٠٠هـ).

إنها مدرسة الابتلاء

قد يسلط الله عليك بقضائه وقدره من يؤذيك ويبهتك ويفتري عليك، ومن يخادعك، ويكيد لك، ويمكر بك، ومن يحسدك ويشاحنك، ويحقد عليك من دون خطأ منك نحوهم، ولا جريرة منك تجاههم؛ فارضَ عن ربك الرحيم واستحضر معي ما يلي:

- لعله ابتلاء لك لرفعة مراتبك ودرجاتك.
- ولعله تعليم لك لتكتسب الحكمة والكيس والحذر.
- ولعله تدريب لك لتكتسب القوة والصبر والتصبر.
- ولعله تكفير لسيئاتك، ومحو لذنوبك، ومغفرة لزلاتك.
- ولعل فيه إظهار لعزك وسؤددك بعد انتصارك بالحق في عاقبة أمرك.
- ولعلَّ فيه انكشافا لأمر أعدائك الظاهرين المعلنين والمختفين المتربصين.
- ولعل فيه تليينا لقلبك، وكسرا لكبرياء نفسك.
- ولعل فيه دفعا لك للتعلق بربك، وكثرة دعائه وذكره.

قال ذو النون رحمه الله: البلاء ملح المؤمن، إذا عدم البلاء فسد حاله[١].

فأحسن الظن بربك وارضَ بقضائه، واحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا على نعمة الابتلاء؛ وتذكر دوما أن العاقبة للتقوى!.

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٩/ ٣٧٣)].

بالشكر تدوم النعم

استحضر نِعَمَ الله تعالى عليك، وعددها نعمة تلو الأخرى، ومرِّرها على عقلك، وقلبك؛ بل مررها على عقل قلبك، وأكمل عدَّها وهل يمكن إحصاؤها؛ ثم اشكر الله عليها ثم احمده سبحانه وبحمده عليها حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه؛ وقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتذكر قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثم سخر جوارحك كلها لشكر المنعم المتفضل سبحانه سرا وعلنا في الرخاء والشدة، وفي العسر واليسر، والمنشط والمكره: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]؛ واعلم أن شكر الصادقين نية وقول وعمل.

وعن طلق بن حبيب رحمه الله، قال: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين [١].

وقال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٣/ ٦٥)]

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

فاللّٰهُمَّ احشرنا مع الشاكرين الحامدين الصادقين.

ثَقَافَة الحُب ومُجْتَمع الحُب المَنْشُود

الحُب الحقيقي هو مَشَاعر رقْرَاقة متدفقة دافئة تنبعث من القلب لتصل إلى القلب؛ فهو عمل قلبي عظيم من أعمال القلوب الخطيرة.

يصبح الحب من أجل الطاعات وأعلاها قدرا، إذا صدر من قلب خالص لله ليس لمصلحة ولا غاية دنيوية.

أخي الكريم: كن حبيبا ودودا لكل مؤمن، واغرِس الحب بينَ النَّاس، وانشر ثقَافة الحُب ليستنشق النَّاس عَبيرها، وأريجها؛ فالحب طاقة إيجابية رقيقة ونافذة، ترفرف على قلب المحب والمحبوب معا، بل إنها طاقة إيجابية متدفقة تلامس شغاف القلب وتصل إلى سويدائه.

فبالحب نبني مجتمعا متآلفا متماسكا تَسُوده لُغَة التَّفَاهُم، والتَّسَامح، وبالحُبِ نُصحح خَطأ الغافل المخطئ، ونقوم المعوج بلطف ورفق، وبالحب نبني ونرمم لا نسقط ولا نهدم.

وبالحب تتسع القلوب والصدور، ونصعد بمجتمعنا إلى العلياء، ومعالي الأمور، وبالحب نتواصل، ونتآلف، ونجتمع ونجمع لا نتشاحن، ولا نتباغض، ولا نتفرق، ونقطع.

وبالحب يشعر الجميع بالتحالف والانتماء، وتترسخ به أُسُس ودعَائِم الإخَاء وبالحب نقضي على الخصومة والشقاق، ونرسي قواعد التعاون، والاتفاق.

لابد أن نتعامل بود ورأفة، وحب، وأن نعطي بحب، وأن نمنع بحب، وأن ننصح بحب، ونوجه بحب، وأن نأمر بحب، وأن نزجر بحب؛ حتى نكون حقا مجتمع الحب.

قال الله ﷻ عن نبيه ومصطفاه القدوة العظيمة للمؤمنين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»[(١)].

وعن ابن عباس ﷺ قال: أحبَّ في الله وأبغضْ في الله، ووال في الله، وعاد في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك ولا يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك[(٢)].

فاللَّهُمَّ ألف بين قلوبنا، واقذف فيها الحب ورسخه فيك يا ربَّ العالمين يا حَبيب المؤمنين.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧].

يا لها من دنيا عجيبة

عندما تتأمل في هذه الدنيا، وتترك مليا فتتفكر فيما يمر بك فيها من أحداث ومواقف، ومفاجأت، وما فيها من تغيرات، وتقلبات مفرحة، أو محزنة فأحيانا تنقلب النقمة نعمة، والبلية عطية، وأحيانا تنقلب النعمة نقمة والعطية بلية.

وأحيانا تنقلب المحنة منحة، والألم أملا، وقد ترتقب بشرى سارة فتزف إليك مصيبة، وقد ترتعد من خبر مفجع؛ فينقلب إلى بشرى سارة مفرحة.

فبعد كل هذا حق عليك يا أخي العاقل الرشيد أن تؤمن، وتوقن بأن رأس مالك، وخير ما تشتغل به هو إقبالك على مولاك الحق، وكثرة دعائه والتضرع بين يديه؛ فإنه الرب العظيم، والركن المنيع والمدبر الحكيم الواحد القهار.

فعندها تسكن نفسُك، ويطمئن قلبُك؛ فتذوق حلاوة الإيمان وتقول: «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا ﷺ نبيا ورسولا».

فإذا وصلت إلى تلك الحالة الإيمانية الجليلة فالهج بحمد الله وتمجيده والثناء عليه؛ واعلم أنك قد وصلت إلى غاية العبودية، وهي يقينك بالله، ورضاك عنه، وتسليمك لأمره،

واطمئنانك لحكمه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فما وصلت إليه من مكسب كبير هو خير عظيم لا يقاس بما حازه الناس وتحصلوا عليه من جاه، وسمعة، وأموال، ومناصب أفنوا فيها أعمارهم، وضيعوا عافيتهم.

فمن كسب ربه تعالى، ويقينه به؛ فماذا فقد؟ ، ومن فقد ربه تعالى وإيمانه به؛ فماذا وجد؟.

عن أبي الدرداء ﷺ قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من بر من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادة من المغترين[1].

فلنحافظ على الجوهرة الثمينة، والدرة المصونة، ألا وهي الإيمان القوي الصادق بالله تعالى، ولنحذر من كل ما يخدشه، أو ينقصه، أو يضعفه؛ فهو حبل النجاة الذي من لقي الله به فقد سعد وغنم، وظفِر وفاز: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣].

كن صاحب مبدأ

صاحبُ المبدإ الحق لا يداهن على حساب مبادئه. صاحب المبدئ لا ينافقُ ولا ينقلب على مبادئه.

صاحب المبدإ لا يقدم المصلحة الذاتية الخاصة على حساب مبادئه.

صاحب المبدإ لا يسعى للتكاثر ولا المكاثرة، ولا التفاخر، ولا المفاخرة، صاحب المبدأ يقدس المبدأ ويحترمه، ولا يقدم عليه شيئا كائنا ما كان.

صاحب المبدإ ثابت كالطود العظيم، وكالجبل الأشم؛ لا تهزه الريح ولا تزعزعه الزلازل، صاحب المبدإ تجمعه مع الناس المبادئ، وتفرقُه عن الناس المصالح الذاتية.

فيا أخي الحبيب، وابنَ عمي القريب؛ عش حرا برا كريما ذا مبدئ راسخ كالجبل واضح كالشمس.

ولا تتلاعب بمبادئك الحقة المباركة، ولا تحرفها، ولا تفرغها من محتواها، كن صبورا حليما قوي الجَنان ثابتَ الأركان.

واعلم أن أصحاب المبادئ يعيشون مئات الأعوام، وأصحاب المصالح يموتون قبل وفاتهم بسنوات. فلله الأمر من

قبل، ومن بعد؛ وله الحكم في الأولى والآخرة، وإليه المآب، والمرجع، والمصير، والمنقلب.

فاللّٰهُمَّ ارحمنا رحمة واسعة تغنينا بها عن رحمة من سواك.

الرضا والتوكل سبب العطاء

أيها الإنسان المؤمن: مالي أراك قد أطرقت رأسك، وكأني بك قد خار عزمك، وانهارت قواك، وكأني أسمع منك تنهدات وأنين الألم.

هل فقدت شيئا؟ ؛ فأبشر بالعوض من الله الكريم المنان؛ فما أخذ ربك منك شيئا إلا ليعطيك خيرا منه.

هل خذلك أحد؟ ؛ فأبشر بمن سيسخره ربك اللطيف ليشد من أزرك ويكون عونا لك ومعين من حيث لا تحتسب.

هل ظلمك أحد؟ ؛ فأبشر بربك القدير سينتقم ممن ظلمك في وقت لا يتوقعه، ولا يخطر له على بال حتى، وإن أمهله فإنه سبحانه لم يهمله.

هل اتهمت بتهمة، أو شوهت سمعتك؟ ؛ أبشر بنصرة الله لك وتطييب سمعتك فإن الله هو الحق، وسيحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون الآثمون، وسيدافع الله عنك بنفسه وسيسخر لك من يدافع عنك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

هل عسر عليك أمر، وأقفل دونك بابه؟ ؛ فلتبشر فإن مع العسر يسرين، ولن يغلب عسر يسرين، وسيفتح الله لك أبواب لم

تفتح عليك من قبل: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

هل انتظرت شيئا وطال انتظارك؟ ؛ فأبشر بمن سيبشرك ببشرى تملأ قلبك فرح وروحك مرح؛ فيستنير وجهك، ويشرق محياك، وتقر بها عينك.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: التوكل على الله جماع الإيمان، وكان يدعو: اللَّهُمَّ إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك [١].

كل هذا يكون لك، وأضعافه، وأضعاف أضعافه؛ بشرط الثقة الكاملة بالله الواحد الأحد، والتوكل الكامل عليه، والرضا التام عنه، وحسن الظن به دائما وأبدا.

ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) [سير أعلام النبلاء (٥/ ١٨٩)].

اصبر على البلاء فإن فيه الخير

لا تجزع من البلوى والمصيبة، ولا تتسخط منها ولا تتأفف لوقوعها فلعل عاقبتها خير.

فقد قال النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(١).

ولن تتحقق الخيرية لك إلا بابتلائك بالمصائب؛ فقد قال نبينا وحبيبنا ﷺ: «من يرد الله به خيرا؛ يصب منه»(٢). ولذلك قال بعضهم المحن منح

وعندما يشتد حزن المؤمن فإنه مع ما يحصل عليه من تكفير للسيئات؛ فإنه يحصل لقلبه انكسار، ولدمعه انهمار؛ فينطلق لسانه بالدعاء الخالص والتضرع والابتهال الصادق، مجتهدا مخلصا راجيا من ربه رفع البلاء، وإصلاح الحال حتى يسمع ربه ومولاه سبحانه صوت عبده المنكسر؛ وقد جاء في حديث أن الله يؤخر رفع البلاء حتى يسمع صوت عبده.

ومع طول مدة البلوى والمصيبة، وشدة وطأتها؛ فإنه يتعافى من قسوة القلب وجمود العين رويدا رويدا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب بن سنان ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

حتى يصبح قلبه صحيحا رقيقا، ودمعته غزيرة منهمرة؛ فيحرمه الله على النار حيث قال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[١].

فإذا قرأت القرآن بعد ذلك لم تمر على آياته أصم أعمى؛ بل ستمر على آياته متفكرا فيها ومتدبرا لها، متأثرا بها؛ فيحصل لك بذلك انتفاع عظيم، فينصلح حالك وبالُك، وشأنك كله؛ فتتغير حياتُك وترتقي في معارج الولاية والصلاح.

وقال بعض السلف[٢]:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن الدهر غير مخلد

أو ما ترى أن الحوادث جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

فاللَّهُمَّ ارزقنا العافية، وإن قدرت علينا البلاء فاجعله سبيلا إلى ولايتك يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧١) من حديث عبد الله بن عباس ﷺ.

(٢) [عيون الأخبار ٣/ ٦٣].

توجه إلى الله المعبود

لتحصل على مرادك ومقصودك توجه حقا إلى الصمد المقصود وحقق عبوديتك للرب المعبود.

كل الأزمنة عند الله تعالى كأنها زمان واحد، وكل الأمكنة عنده ﷻ كأنها مكان واحد، وكل الناس لديه ﷻ كأنهم شخص واحد.

فوصيتي لك أن توجه وجهك إلى ربك المعبود المقصود فهو الأحد الصمد الذي تصمد إليه كل الخلائق في حاجاتها ومطلوباتها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

وعندما تدعو ربك متضرعا مبتهلا خاشعا منيبا فتذكر واستحضر على الدوام أنه هو وحده ﷻ الملك الواحد القهار العلي العظيم الجبار القوي الكبير المتعال المتين القدير ذو الجلال المعطي الوهاب الكريم البر الرؤوف الرحيم العليم الحكيم الحليم.

وعندما تستحضر ذلك بقلبك فإنك تعلم يقينا أن كل ذرة في الكون خاضعة له لأنه الواحد القهار.

حينها يضمحل عندك ويتلاشى الظرف، والزمان، والمكان، والمقاييس العقلية والأنظمة البشرية فكل ذلك لا شيء يذكر

أمام عظمة وقيومية رب الأرباب ومسبب الأسباب رب العزة والجلال الذي ليس له سمي ولا كفؤ ولا مثال.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا﴾ [مريم: ٦٥].

فهو ﷻ لا مكره له، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا ينفذ إلا أمره ولا يحصل إلا ما يريد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال ابن عون رحمه الله: ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر، فإن ذلك أقل لهمك، وأبلغ فيما تطلب من آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عن الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاء مخالفا لهواك، ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلكتك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك، وذلك لقلة علمك بالغيب، وكيف تستقضيه إن كنت كذلك، ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا[1].

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤١].

فإذا أكرمك مولاك وأعطاك فلا مانع لما أعطى، وإذا فتح مولاك لك وعليك فلا مغلق لما فتح، وإذا بسط مولاك لك ووسع فلا قابض لما بسط.

هذه هي عقيدتنا المتينة، وهذا هو منهاجنا القويم لن نسمح لأحد أن يزعزعها ولن نقبل لأحد أن يضعفها، ولن نرضى بها بديلا، ولا بغيرها سبيلا.

فنعتقد أن ربنا وسيدنا ومولانا هو سندنا وملجؤنا، وهو ملاذنا ومعاذنا، وهو حسيبنا وحفيظنا، وهو وكيلنا وكفيلنا؛ وكما أنه خالقنا، ورازقنا؛ فهو وحده المستحق للعبادة لا نسمح لأنفسنا أبدا أن نصرف شيئا من أنواع العبادة لغيره ﷻ وبحمده، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره.

قال الشيخ الزمزمي:

يا من تحل بذكره عقد النوائب والشدائد
يا من إليه المشتكى وإليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العباد وأنت في الملكوت واحد

خَاطِرة مُفْزِعة لأهلِ القُلوبِ الحيَّة

كُل من سَاهم ولو بِشطْرِ كَلمةٍ في إعانةٍ على إثمْ، أو إعَانة على ظُلم، أو عُدْوَان أو تسهيل لذلك، أو تحريضٍ على ذلك بطريقةٍ مُبَاشِرة أو غيرِ مُبَاشِرة؛ فقد انغمس في الشُرور إلى آذانه، وقد كسب السيئات، وقد خفّت موازينه بها فلم يفلح.

وكل ما يترتب على إعانته تلك من مفاسد، وآثار سيئة، وثمار خبيثة بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، بالهمز، واللمز، وبالقول والفعل فهو شريك فيها إلى يوم التناد، يوم يقوم الأشهاد شاء أم أبى؟!

ورب كلمة قالت لصاحبها دعني، ورب كلمة كتب بها سخط الرحمن، ورب كلمة حالت بين المرء وقلبه، ورب كلمة أحدثت فتنة ورب كلمة كشجرة خبيثة، ورب كلمة أحدثت فرقة أو بغضاء، ورب كلمة هدمت أسرة مسلمة ورب كلمة فرقت جمعا مباركا، ورب كلمة أحدثت قتالا وسفكا لدماء زكية ورب كلمة باعدت القلوب وأوغرت الصدور، ورب كلمة فتحت أبواب شر مستطير، ورب كلمة سببت سخط الجبار عليك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويستثنى من ذلك من كان مجتهدا في إصابة الحق، متحريا للصواب بنية صادقة فهو مأجور مثاب عند الله تعالى. فبادر يا أخي الطيب المبارك في إصلاح ما أفسدت، وفي

ترميم وبناء ما هدمت وفي الاعتراف بخطئك، والسَّعي لإزالة آثاره السيِّئة والاعتذار لمن اسأت إليه وطلَبِ مُسَامَحَتِه، والعفوِ منْه عنْكَ حتَّى لا تلْقَى الله فتلقى الذُّل والخيبَة والهوان.

قال ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨، ٧].

عن خالد الربعي رحمه الله قال: كان لقمان رحمه الله تعالى عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال له: ائتني بأطيب مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب، فقال: أما كان فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا قال: فسكت عنه، ثم قال له: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال له: ألق أخبثهما مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبهما مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثهما مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال: إنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا[1].

يقول الشاعر:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة

وعثرته بالقول تُذهب رأسه ... وعثرته بالرِّجْل تبرا على مَهْلِ

---

(١) [الزهد للإمام أحمد / ١٢٦].

وقال ﷺ: «وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»[1]؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣١٩) من حديث بلال بن الحارث المزني ﷺ، وقال حسن صحيح.

جالس مولاك تفز بمعيته

اجلس مع ربك ومولاك؛ فهو جليس من ذكره؛ فقد قال ﷻ في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»[١].

خاطب ربك وإلهك، وسيدك، وخالقك بأدب وخشوع، وافتقار وذل وخضوع وانكسار، وتذكر أنه هو أكرم الأكرمين الذي يحب من يذكره كثيرا ويقبل عليه بوجهه، فيجيب سؤله، ويلبي طلبه ويفيض عليه من رحماته.

وحتى تنجح في الدخول على مولاك أزل من طريقك كل العقبات والعوائق واقطع عن قلبك كل الشواغل، والعلائق، ثم استحضر كماله، وجماله وعظمته، وجلاله، والهج بتسبيحه، وتحميده، وتمجيده وتقديسه، واجلاله واستغرق في ذلك حتى تنسى ما سواه.

ولا تستعجلن في تقديم حاجاتك، وطلباتك بين يديه، لأنه ﷻ سيبادرك ويتفضل عليك فيقضي حوائجك كلها قبل طلبك منه قضاءها، ويفاجئك فيعطيك سؤلك قبل سؤالك. كما روي

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب مرفوعاً، وورد بلفظ صحيح «أنا معه حين يذكرني» في صحيح مسلم برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

في الحديث القدسي " من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين "[١]

فهو الملك الكريم الوهاب، الشكور، الخبير، العليم بذات الصدور فجاهد نفسك وعوِّدها على حُسنِ الدُّخُول عليه، وحسن مخاطبته والثناء عليه؛ تفلح وتنجح، وتصل إلى مطلوبك بإذن الله وحوله وقوته، وتوفيقه.

عن ابن السماك رحمه الله قال: اجتمع ثلاثة من العباد، فقيل لأحدهم: لم تعمل؟ قال: رجاء الثواب، وقيل للآخر: لم تعمل؟ قال: خوف العقاب، وقيل للثالث لم تعمل؟ قال: حياء من المقام[٢].

مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرع

فاللّٰهُمَّ وفقنا للدخول عليك من باب الثناء عليك، وتمجيدك وتحميدك وتسبيحك، وإجلالك، وقربنا منك نجيا، وحقق أمانينا وآمالنا يا أكرم الأكرمين.

---

(١) روي من حديث جماعة من الصحابة وطرقه ضعيفة إلا أن مجموعها تدل على أن له أصلاً وتقويه آيات وأحاديث

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٢٢٨].

كفى بالموت واعظا

ودعنا الكثير والكثير من الأحباب والأصحاب، والأقارب والجيران والمعارف، وسيستمر هذا القطار بالسير، ولن يتوقف إلا ما شاء الله حتى تقوم الساعة؛ فهل توقفنا لحظة متفكرين؛ هل أعدنا النظر في حياتنا؟ ، هل حاسبنا أنفسنا حسابا دقيقا مفصلا؟ ، هل عزمنا حقا على التوبة الصادقة والتغيير الإيجابي الحقيقي الفعَّال، والمبادرة إلى تطبيق شرع ربنا قولا وفعلا ظاهرا وباطنا.

كلنا ذاك الإنسان المقصر المغرور الذي يظن أنه على خير عظيم، وأنه قد سلك الطريق القويم، وأنه قد قارب الكمال، وللأسف الشديد!.

قف أخي العزيز اليوم مع نفسك

١) ابكِ على ذُنوبك وخطاياك، واطلب من ربك التوبة والمغفرة والعفو، والعافية.

٢) التزم شريعة ربك ومولاك، ولا تتعد حدوده، ولا تتهاون.

٣)أكثر من الأعمال الصالحة وتاجها، وأسُها، ورأسها؛ ذِكر الله تعالى ودعاؤه ليلا ونهارا سرا وجهارا، بالقلب واللسان والجوارح.

٤) اجعل لك ثلاثة أعمال صالحة خفية لنفسك خاصة، وثلاثة أعمال خيرية يتعدى نفعُها للمسلمين، ولا يعلمها إلا الله، فاكتمها

وأخفها عن الخلق أجمعين، ولا تقبل أن يطلع أحد عليها بوجه من الوجوه ومع هذا كله فكن خائفا وجلا، ألا يتقبل الله منك ولا تغتر بعملك، ولا تعجب به بل سل الله القبول والثبات: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ملك الموت إلى نوح، فقال: يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان فقام وسط البيت هنية، ثم خرج من الباب الآخر[١].

كُتب الموت على الخلق فكم ... فلَّ من جيشٍ وأفنى من دول
أين عادٌ أين فرعون ومَنْ ... مَلَك الأرض وولّى وعَزَلْ
سيعيد الله كُلا منهم ... وسيَجزي فاعلا ما قد فعَلْ[٢]

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٧].
(٢) من لامية ابن الوردي الحكمية.

فـاللّٰهُمَّ يـا مصرـف القلـوب صرف قلوبنـا إلى طاعتـك، وثبتنـا على ما يرضيك؛ يا رب العالمين.

إلى الله المصير والمستقر

كلنا سائرون في درب واحد، ومقادون إلى مصير ينتظرنا، على اختلاف طبقاتنا، وأدياننا، وتوجهاتنا شئنا أم أبينا، رضينا أم سخطنا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال ﷻ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢، ١٣].

فكل يوم يمضي- من حياتنا فإنه يدنينا إلى الأجل، ومن ثم إلى لقاء الله تعالى للحساب والجزاء: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، فالحياة الحقيقية هي الحياة الأبدية السرمدية: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

عندها يحمد القوم السرى، فكل ما تزرعُه اليوم ستحصدُه يوم يقوم الأشهاد وكل ما غفلت عنه ونسيته ستراه أمامك مكتوبا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فلتكن همتنا عالية، وليكن سيرُنا إلى الله سيرا حثيثا بإخلاص، وسداد ومتابعة للنبي ﷺ بنفس مطمئنة، راضية رضية، وأعمال متقنة صالحة زاكية.

ولنسابق إلى الخيرات والباقيات الصالحات بعزم، وحزم، وجدٍّ واجتهاد، ولنعرف حقارة الدنيا الدنية التي أشغلتنا عن آخرتنا وصدتنا عن ذكر الله، وجعلت قلوبنا في كل واد تهيم.

ولنجعل هدفنا أن نكون من السابقين السابقين أولئك المقربون.

قال ابن السماك رحمه الله: الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء وغدا تصير إلى دار الجزاء، فاشترْ نفسك لعلك تنجو[1].

فاللَّهُمَّ أعنا على ذكرِك، وشكرِك، وحسن عبادتك، ووفقنا لما تحبُّه وترضاه في جميع الأقوال، والأعمال.

---

(١) [سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣٠)].

كتاب الله العروة الوثقى

استمسك بكتاب ربك، واعتصم به، وأقبل عليه، وتشبث به، لا يلهينكَ عنه خُلان، ولا أصحاب، ولا تجارة، ولا جمع مال، ولا كتاب.

ولا يشغلنك عنه شغل شاغل، ولا لهو باطل، ولا يصرفنك عنه جاه عريض ولا دنيا مؤثرة؛ فهو الكتاب الكريم الحكيم العظيم المجيد فيه البركات والرحمات، والهبات، والأَعطيات.

فيه العلوم النافعة، والحكمُ السديدة، والمواعظ الرشيدة، فيه السعادة والهناء، والمجد والسناء.

به تستنير العقول، وتنشرح الصدور، وتتعدل الأفكار، ويتقوم السلوك، درره وفوائده كالذهب المسبوك، وغرره، وعوائده كالنقد المصكوك؛ لا تلتفت لغيره بقلبك وقالبك فتخسر، ولا تنشغل عنه بغيره فتتندم وتتحسر إلا ما ساعد على فهمه، وما فصل مجمله، وما شرح مبهمه من سنة شريفة غراء، وسيرة وهدي لخير نبي، وخير خلفاء، وهدي أئمة آل البيت، والصحابة والتابعين النجباء، وكلام رصين للربانيين الراسخين من العارفين والعلماء، أقبل عليه بقلبِك وقالبك، واشحذ عزيمتك، واشدد همتك للنهل من ينبوعه الصافي؛ فهو خير من كل النظم والقوافي؛ لأنه كلام رب العزة والجلال ذي الكمال، والجلال والجمال الذي

فتق ألسنة البلغاء، وخلق خلقه على غير مثال وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

فاصرف أوقاتك في تلاوته، وترتيله، وفي تدبر معانيه حتى تفهمها كوقت تنزيله؛ فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم وهو الذكر الحكيم، والكلام الحق المبين؛ قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾ [المزمل: ٤]، وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

عن حماد بن زيد. قال: سمعت أيوب رحمه الله وقيل له: ما لك لا تنظر في هذا - يعني: الرأي؟ فقال أيوب: قيل للحمار: ألا تجتر! فقال: أكره مضغ الباطل[1].

فاللّٰهُمَّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا يا رب العالمين.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٨)].

لن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا

سنن الله ثابتة لا تتبدل، ولا تتغير، ولا تتحول؛ إلا ما شاء الله.

فمهما طال الزمن أو قصر فلن يصح إلا الصحيح، ولن يثبت إلا الطيب المبارك؛ قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

قال الأوزاعي رحمه الله: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعلم، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة [١].

وحبل الكذب قصير تستطيع أن تكذب على جل الناس بعض الوقتِ، وتستطيع أن تكذب على بعض الناس كل الوقت؛ لكنك لن تستطيع أن تكذب على جل الناس كل الوقت.

فلن يضع الله الباطل مكان الحق، ولا الضلال والعمى مكان الهدى والبصيرة، ولا الكاذب الخائن في مقام الصادق الأمين، ولا

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١٤٣)].

العاجز الكسلان، مكان الهمام المجتهد، ولا الغوي الفاجر مكان التقي الصالح، ولا السفيه الطائش مكان الحكيم المتزن، ولا البخيل الجبان مكان الكريم الشجاع، ولا الجاهل البليد في موضع العالم الفهيم.

نعم قد يحصل هذا؛ ولكنه مؤقت كسحابة الصيف، فتنة من الله وابتلاء وتمحيص، وخاصة أننا في أواخر الزمان، ولكنه بحول الله تعالى لن يدوم لأن الله هو الحق، وهو الظاهر، فلن يكون الحق إلا ظاهرا للعالمين.

فقد قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

خصال الخير الجامعة

جماع خيري الدنيا والآخرة في هذه الخصال والأعمال الجليلة المباركة:

- معرفة الله بجلاله، وجماله، وكماله، بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى وأفعاله الجميلة.
- محبته سبحانه من كل قلبِك، والتعلق به دون من سواه.
- الإخلاص له وحده لا شريك له.
- اليقين به، وبوعده، ووعيده.
- الثقة الحقيقية الكاملة به، والتوكل عليه.
- الرضا عنه، ولقدره، وحكمه، والطمأنينة به.
- الخوف منه وخشيته في السر والعلن.
- الرجاء له، ولما عنده من النعيم والثواب، وحسن الجزاء.
- الإنابة إليه، والرجوع إليه في كل لحظة ولمحة.
- دعاؤه والتضرع بين يديه، والاستغاثة به.
- كثرة ذكره قائما وقاعدا، وعلى جنب بالليل والنهار ومن أعظم ذكره تعالى قراءة القرآن بالتدبر والتعقل.
- التفكر في آياته ومخلوقاته.
- الصبر على قضائه وقدره، وعلى طاعته، وعن معصيته وكل ما يسخطه.

- الصدق مع الله، ومع الناس ظاهرا وباطنا.
- القناعة والكفاف، والتعفف عما في أيدي الناس.
- الإحسان إلى الناس بكافة صوره وأشكاله معنويا وماديا.
- السماحة والتسامح، والعفو والصفح الجميل.
- كفُّ الأذى عن الناس باللسان واليد.
- أكل المال الحلال، والطعام الطيب الحلال.
- طلب العلم النافع، والاجتهاد في تحصيله.
- الصدقة بالليل والنهار سرا وعلانية.
- التوبة الصادقة النصوح، وكثرة الاستغفار ليل ونهار.

ونحن جميعا "الكاتب والقارئ" ما بين مقصر ومفرط في هذه الخصال، والعبادات الجليلة. ولكن لابد لنا من مجاهدة النفس على تحقيقها وتطبيقها، والتخلق بها نسأل الله لنا ولكم الإعانة والتوفيق.

وخالف النفس والشيطان وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

غير نفسك يغير الله بك غيرك

ابدأ الآن يا أخي بتغيير نفسك من الداخل، وعاهد ربك على الاستمساك بالحق مهما كلفك من ثمن، وتضحيات مادية، ومعنوية.

فأحرص على أن تؤطر نفسك على الحق أطرا، وأن تلزمها بالاستقامة على شرع الله إلزاما.

وبداية انطلاقتك يا أخي الحبيب تكون بمعرفة الله، وتعظيمه حق التعظيم حتى لا يبقى في قلبك أحد أعظم منه.

ثم السعي الدؤوب لنيل رضاه ﷻ؛ وهذا هو الهدف الأسمى في الحياة.

ولا شك أنه ليس كل ما يرضي الله سيرضي الناس؛ بل قد يكون كثير مما يرضي الله هو مما يسخط الناس، فلا يصيبك هذا بالوهن!.

فلا تترك يا أخي الحبيب رضا الله لأجل إرضاء فلان، أو خوف من سخط فلان؛ فهذا نوع خفي من أنواع الشرك؛ فاحذره! ؛ لأن من سيحاسبك ويجازيك هو الواحد الأحد.

ثم إن رضا الله غاية تدرك، ورضا الناس غاية لا تدرك، ولن تدرك؛ لأن أكثر الناس يغلب عليهم الجهل، والهوى، والتعصب؛ ويندر فيهم العدالة والإنصاف.

وعلى قدر سعيك العظيم لإرضاء الله ومجاهدتك لنفسك في ذلك على قدر ما يحصل لك من الأجر، والمثوبة؛ فأجرُك على قدر نيتك، وعلى قدر تعبك ونصبك.

وانظر إلى عمر الفاروق ﷺ الزاهد لم يترك الحقُّ له صديقا لأنه كان شجاعا وصريحا بقول كلمة الحق، للقريب، والبعيد.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده - رضي الله عنهم - سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ﷻ واستكمال لطاعة الله ﷻ، وقوة على دين الله تبارك وتعالى. ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها. من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله تعالى ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا [1].

وذاك على المسدد الورع الذي سعى لرد الناس إلى الحق بلسانه وسيفه وبقلبه وقالبه، اختلف الناس عليه في خلافته، وخرج عليه الخوارج!.

فالحق مر وقليل من يقبله؛ فمن أراد طريق النجاة من الخسران فليكن قوالا بالحق مستمسكا به لا يخاف في الله لومة

---

(١) [الشريعة / ٧٢].

لائم؛ لا يداهن، ولا ينافق، ولا يتزلف، ولا يلتوي وليصبر، وليتصبر، وليصابر.

فإنه ما أعطي امرؤٌ عطاء أوسع ولا خير له من الصبر ومنزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد؛ قال ﷻ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ٥٩].

الوقت كالسيف

كما أنك حريص أشد الحرص على حفظ وتوفير مالك الذي جنيته بعد تعب شديد، وصبر، ومصابرة؛ فتعلقت نفسك به، فكن حريصا على توفير وقتك من الضياع، والمحافظة عليه ألا يصرف في السفاسف، وكذا الجدالات الطويلة المكررة والمعادة، والتي تمرض القلب، وتبعث على الشقاق، والخصومة، ثم الشحناء!.

ودَعِ الزيارات الطويلة المملة التي ليس لها هدف ولا مغزى، ولا فائدة مرجوة ولا مأمولة، فوالله إن وقتك هو عمرك، وهو حياتك، وهو أغلى ما تملكه بعد نفسك؛ فكن شحيحا به ضنينا [١]. ففي الحديث الصحيح " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " ولا تقبل المساومة عليه! ؛ فليس لك إلا حياتان؛ حياة عمل وكدح، واجتهاد وامتحان؛ وهي الحياة الدنيا، ولك فيها إرادة، وحرية اختيار.

وحياة حساب وجزاء أنت فيها مساق إلى الله شئت أم أبيت؛ وهي الحياة الآخرة.

قال الشاعر [٢]:

---

(١) وهي من ضن أي ما يبخل به المرء.

(٢) [البداية والنهاية ١١/ ٣٣٣].

إذا غامـــرت في شرف مـــروم فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم
فطعـــم المـــوت في أمـــر حقـــير كطعـــم المـــوت في أمـــر عظـــيم

فالحيـاة الدنيـا هي مـربط الفـرس، وميـدان السـباق، وهي رأس مالك.

فقـدم فيهـا الأهـم، ثـم انتقـل للمهـم مـن الأعمـال، ثـم الأقـل أهميـة؛ وهكـذا والعمـل الأهـم هـو الأقـرب إلى الله، وإلى رفـع درجاتك بفضل ورحمة الله.

وإياني وإيـاك أن تهمـل العمـل المهـم وتضـيعه، بسـبب حرصـك على إنجاز عمـل جـزئي غـير هـام؛ فـالمؤمن كـيس فطـن حـازم جـاد، يحفـظ وقتـه مـن الضـياع؛ أكـثر مـن حفظـه لمـاله، ويخطـط لوقتـه التخطيط السـليم أكـثر مـن تخطيطـه لمشـروعه فالوقـت كالسـيف إن لم تقطعـه قطعـك، فـاحفظ طاقتـك مـن التشـتت، ووجههـا التوجيـه السديد نحو هدفك الحميد، لتنجز بها عملا مباركا رشيدا.

قـال ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَـفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبْرِ (٣)﴾[العصر: ١-٣].

وقال الشاعر:

إذا أنــت لــم تــزرع وأبـــصرت ... نــدمت على التفــريط في زمــن

---

(١) بيت من قصيدة لأبي الحسن الجرجاني.

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا

إن الحكماء الصادقين الناصحين لهم شأن عظيم في الإسلام؛ فهم ميزان النجاح، ومفتاح الفلاح، وعنوان المجد، والسؤدد، وتحقيق المطالب.

لأنه بعقولهم وفهومهم - بعد توفيق الله - أناروا الطريق والدرب للسالكين، وأشاروا على أهل القيادات بأمانة؛ فكانوا نعم المشير لهم والأمين، ونبهوهم على بعض المزالق، والآفات فكانوا عونا لهم على النجاة من خطرها، وشرها وشررها.

فلا يجوز أن تخلوا مجالس أولي الأمر، وأهل الحل والعقد منهم، ولا ينبغي أن يقطع أمر، أو يبت فيه دونهم؛ فهم أولو العقول والأحلام والنهى؛ وبدون الاستنارة برأيهم قد ندفع الثمن غاليا.

لذلك ينبغي على الأمة أن تلتفت لحكمائها، وأن تعطيهم حقهم، وأن تنزلهم منزلتهم، وأن تصدر عن رأيهم، وتعتمد بعد الله عليهم فإضافة عقول الحكماء إلى عقولنا مكسب كبير.

فكم من مزالق وحفر وقعنا فيها، وكم من مشاريعَ ذهبت في مهب الريح! وكم من آمال وطموحات تبددت، وتلاشت، وكان من أكبر أسباب حصول ذلك الإعراض عن أهل الفهم، والحكمة،

والاعتداد بالرأي، واتخاذ القرار بدون مشورة، ولا أناة، ولا روية!.

فينبغي علينا جميعا أن نهتم باستشارة الحكماء في شؤوننا الخاصة والعامة، المادية والمعنوية، الدينية والدنيوية؛ حتى نوفر على أنفسنا الجهد، والوقت، والمال قال الله ﷻ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وهم أهل العلم والفهم والحكمة.

عن إبراهيم بن المنذر قال: استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء؟ قال: اللّٰهُمَّ لا. قال زياد: سبحان الله! استشرتك فأشرت علي به ثم أسمعك تنهاه! قال:

أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته[١].

فاللّٰهُمَّ أحطنا بالحكماء، وسخر لنا الحكماء، وآتنا الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا.

(١) [عيون الأخبار (١/ ٧١)].

كن رأسا في الركب ولا تكن ذنبا

تكثر فيه وتتجدد التقلبات والتحولات العظيمة والمفاجأة الإيجابية والسلبية البناءة والهدامة على كافة المستويات والأصعدة، فهناك أفكار ومشاريع عملاقة نهضوية علمية، وتربوية، وسلوكية، ونفسية واجتماعية، وسياسية، واقتصادية فلا تكن نحوها جامدا متحجرا صلبا ترفض كل جديد وتقاومه، ولا تكن كذلك منفتحا على الغث والسمين، وعلى الصواب والخطأ، وعلى ما جرب ثم بان خطؤه واتضح؛ بل أوصيك أن تكون لك بصيرة فاحصة ونظر سديد وفكر ثاقب، وعقل متنور.

تأخذ من ذلك بكل جديد مفيد بعد دراسته من كافة الجوانب والجهات ودراسة ثماره، وآثاره، وإسقاطه على الواقع؛ ثم تعمل على تنفيذه من خلال التغيير والتطوير، بخطة محكمة واضحة المعالم، وتدرج يقظ حذر مدروس ومضي وثبات منقطع النظير؛ حتى تنجح فيه، وتحقق أهدافه المأمولة؛ فيعم نفعه، ويظهر أثره الحميد.

فالأخذ بأسباب القوة والعلم، والاكتشافات النافعة، والاختراعات الجديدة المفيدة؛ هو سبيل الأمة القوية الرائدة الناهضة.

فكم من أفكار ومشاريع جديدة فكرية، أو خيرية، أو حياتية معاشية متقنة وجيدة؛ كانت سببا في التسهيل والتيسير على الناس مع قلة تكاليفها المعنوية والمادية.

قال ﷻ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]،

وقال ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي علما﴾ [طه: ١١٤]. ورحم الله العظيم ذا القرنين الذي سعى للأخذ بأسباب القوة، واجتهد فحصل له مراده فامتدحه الله بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبا﴾ [الكهف: ٨٤].

لا تتعصب فالخير فيك وفي غيرك

وصايا هامة للمنتسبين للعلم والدعوة في بيان محاذير الحكم على الفرق والجماعات، والمجموعات، والأفراد، ومن ذلك الحذر مما يلي:

- التعجل في الحكم على الآخرين.
- التعجل في تصنيف الآخرين، والتسرع في نسبتهم لجماعة، أو مجموعة.
- عدم التثبت والتبين من صاحب الفِكرة أو المقولة بطريقة مباشرة والاكتفاءُ بسماع ما قيل عنه، أو ما نقل عنه!.
- عدم قبول الحوار الهادئ مع الطرف الآخر، وعدم الإصغاء والانصات، والاستماع له.
- التعزز بالمكانة، أو الجاه، أو القوة في كسر الخصم المخالف ومحاصرته.
- استخدام الهمز، واللمز، والتهكم والاستهزاء الذي هو من الموبقات.
- التعصب الشديد للرأي، وخاصة فيما اختلف فيه الأئمة المعتبرون السابقون.
- عدم إدراك الخطورة الشديدة للحكم على الآخرين، ثم إشاعة ذلك بين الخاصة، والعامة، وما يترتب عليه من ولاء أو

براء والتقاء، أو هجران، ومعاملات كثيرة تترتب على حكمِنا على الأفراد، أو الجماعات، أو المجموعات.

○ خطورة احتكار الحقِّ، والوصاية على الدين، وادعاء الوصول لحكم الله من فوق سبع سموات! !.

○ خطورة اتباع الهوى في التشفي من المخالفين، وتوسيع أخطائهم، وتضخيمها، وتحميلهم ما لم يقولوا به بحجة الصدع بالحق.

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: أشد الجهاد جهاد الهوى، من منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظا ومعافى من أذاها[١].

وكان يقال: الهوى شريك العمى[٢].

فاللَّهُمَّ ردنا إلى دينك الحقِّ الذي فرض علينا العدالة والإنصاف مع الموافق والمخالف يا رب العالمين.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٨/ ١٨)].

(٢) [عيون الأخبار ١/ ٧٨].

لا ينبغي أن يغلب اختلافنا اتفاقنا

يجمع بيننا وبين إخواننا نقاط اتفاق عظيمة وكبيرة، ونقاط اختلاف صغيرة ويسيرة، فلنركز جميعا على نقاط الاتفاق، ولنستحضرها، ولنتدارسها، ولنعد الحديث حولها، ولنكررها، حتى نبني مشاريع خيرة مشتركة تنفع المجتمع المسلم.

وليس من الحكمة أن نسمح لنقاط الاختلاف أن تتضخم، وتَطغى على تفكيرنا، وحواراتنا، ومجالسِنا حتى تغيب نقاط الاتفاق أو تضعفها؛ فالنقاط الإيجابية بيننا كثيرة ووفيرة، وهي منطلقنا نحو البناء النافع الفعال، والانشغال بها، والانغماس فيها بصدق سيكون سببا كبيرا لزوال آثار الخلاف السيئة من القلوب.

عن مرة بن شرحبيل قال: سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة فخالفة عمرو بن شرحبيل فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته. فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى! فأتيا أبا موسى الأشعري ﷺ فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب أن أرشدك رجل. وقال

لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون[١].

ولا يلزم أن تلتغي نقاط الاختلاف حتى نعمل ونتكاتف، ويشد بعضد بعضِنا؛ فاختلاف الأفهام، والشخصيات، والخبرات تجعل الاختلاف الظاهري حتميا.

ولكن لا يجوز أن نسمح بأن يتعمق الخلاف بيننا لدرجة الاستطالة والتشاحن والتدابر، والقطيعة.

ما دامت نيتنا خالصة، وصحيحة، وما دمنا متخلصين من الهوى وحظ النفس، فلن يوصلنا الخلاف للتشاحن أبدا، وفرق بين التناصح للإصلاح والتقويم مع الحب، والتقدير والإنصاف؛ وبين التفاضح والتلاسن، والقذف لأغراض ذاتية من انتصار، أو ثأر، أو انتقام.

قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فاللَّهُمَّ أصلح قلوبنا، وألسنتنا، وسدِّدنا، ووفقنا، واهدنا.

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٤/ ١٤٢)].

يد الله مع الجماعة

العز والمجد في التكامل والتعاون في نسيجنا الاجتماعي الجميل نجد الكفاءات الجيدة تحفنا من كل جهة، وتطوف بنا من كل جانب؛ كل في مجاله وتخصصه.

فبناء مجتمعنا القوي الصالح يقوم على التكامل والتعاضد؛ وليس على التنافر والتصادم.

فكل منا يكمل الآخر وكل منا بحاجة للآخر، وكل منا له جوانب كمال مشرقة كما له جوانب نقص فائتَهْ. فيد الله على الجماعة المجتمعة على الهدى واليد الواحدة لا تستطيع البناء ولو كانت قوية، والقوة في الجماعة والعز في الجماعة والإتقان مع الإنجاز في الجماعة والوصول إلى ذروة المجد والعز في الجماعة بعد توفيق الله تعالى. فلنوقن أن المؤمن ضعيف بنفسه وقوي بإخوانه المؤمنين؛ فلنكن متحابين متعاونين، متعاضدين، متساندين.

وقال أبو ذر ﷺ: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومُمِلُّ الخير خير من الصامت، والصامت خير من ممل الشر[1].

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٣٥].

وليكن شعارنا المرفوع فوق رؤوسنا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣]،وقال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة: ٢].

وصية غالية جامعة

أخي الكريم الغالي، أختي الكريمة الغالية: قف وتفكر معي قليلا قفي وتفكري معي قليلا، ستحشر وحدك، ستحشرين وحدك وستحاسب وحدك ستحاسبين وحدك، وستجازى وحدك وستجازين وحدك فمن الآن أدعوك بحب وود، وصدق في النصح.

وأقول لك: تخلص من رؤية الخلق ومراءتهم، تخلص من تعظيم الخلق وتقديسهم، تخلص من خشية الخلق والوجل منهم، تخلص من العمل للخلق والتقرب إليهم.

تخلص من الركون إلى الناس والسكون إليهم، تخلص من التملق للناس ومداهنتهم بالباطل.

تخلص من التعصب للرأي، والغرور والعجب. تخلص من التحزب الجاهلي للمصالح الذاتية، تخلص من التكاسل والتثاقل عن الطاعات والقربات، تخلص من الكبر، والتكبر، والتيه، والتعالي. تخلص من الصلف والعجرفة، والغلظة والجفوة، والقسوة. تخلص من الظلم والطغيان، والتعدي ومجاوزة الحد تخلص من الحسد، والحقد والغل والشحناء، والبغضاء، تخلص من الكذب، والخيانة والجبن. تخلص من الطمع، والهلع، والبخل، والشح؛ وتحلى بحب الله وتسبيحه وتحميده وتمجيده وتقديسه، وتعظيمه.

○ تحلى بالتعلق به، والتوكل عليه، والتشبث به، وتفويض أمورك إليه.

○ تحلى باليقين به وبوعوده، والرضا عنه، والتسليم لأمره، وحكمه وقضائه، تحلى بخشيته في السر والعلن، والوجل منه، والخوف منه ﷻ.

○ تحلى برجائه، ورجاء ما عنده من الثواب، مع حسن الظن به ﷻ.

○ تحلى بالتوبة والإنابة إليه، والرهبة، والخشوع، والبكاء بين يديه.

○ تحلى بالصبر على قضائه وعلى طاعته، وحبس النفس عن معصيته.

○ تحلى بالشكر على نعمائه وآلائه الظاهرة والباطنة؛ والتحدث بها بين خلقه.

○ تحلى بالتفكر في آياته، ومخلوقاته، والتأمل في بديع مصنوعاته، تحلى بكثرة ذكره بالليل والنهار، وعلى كل الأحوال قائما وقاعدا.

○ تحلى بكثرة دعائه، والابتهال والتضرع إليه، والذل والتذلل بين يديه.

عن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: رأيت داود الطائي رحمه الله يوما قائما على شاطئ الفرات مبهوتا، فقلت: ما يوقفك ها هنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى[١].

طوبى لمن كف لسانه، وحبَسه عن أعراض المسلمين وذبَّ عن أعراضهم ونافح عنهم، وكان بهم ودودا وأمينا، طوبى لمن ألزم نفسه بالمنهج الأسمى، وكف أذاه وغدره، وسلِم المسلمون من شروره، وأمنوا مكره.

ويقال عن السلف: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه[٢].

طوبى لمن انشغل بنفسه عن الخلق أجمعين، وطلب رفقة صالحة لتكون له خير معين.

طوبى لمن نظر فاعتبر وتفكر فادّكر، وحبس نفسه عن المعاصي، وصبر.

طوبى لمن حسنت طويته وطابت للمسلمين نيته.

طوبى لمن أحب للناس ما يحبه لنفسه، وكره لهم من الشر ما يكرهه لنفسه. طوبى لمن أنصف الناس من نفسه، وعدل في

---

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٧/ ٣٥٦)].

(٢) [عيون الأخبار ١ / ٣٨٠].

حكمه وأنصف نده، وخَصْمه. طوبى لمن كان له في كل خير سهم ونصيب، وأكثر من ذكر ربه والصلاة على النبي الحبيب.

طوبى لمن عفا وسامح، وصفح ودعا إلى ربه وأصلح ونصح.

طوبى لمن قال كلمة الحق في الرضا والغضب، وكان مِفتاحا للخير والبر والمعروف بلا مصلحة ولا سبب

طوبى لمن تاب إلى ربه واستعتب وأناب، وكان عبد الله حقا خاشعا له أواها، وأوابا.

من فضائل وميزات أمتنا

قال ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال ﷺ: «توفون سبعين أمة أنتم خيرُها وأكرمُها على الله ﷻ»[١]، وقال ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة»[٢].

فأمتنا أمة مفضلة مرحومة مصطفاة مجتباة، اختصها الله بخصائص وميزها بفضائلَ عن سائر الأمم؛ فأعطاها خير البقاع، وخير المساجد فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وأعطاها ليلة هي خيرُ الليالي في العام خير من ألف شهر وهي ليلة القدر؛ قال ﷻ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وخير الأيام وهو يوم النحر يوم عيد الأضحى؛ قال عليه السلام: «أفضل الأيام عند الله يوم النحر»[٣].

ونبيها ﷺ خير الأنبياء، وخاتمهم، وأفضلهم، وأحبُهم إلى رب العالمين، وكتابها القرآن الكريم المعجز خير الكتب المنزلة، وأفضلها وأجلُها، وأعظمُها.

وما من خير، ولا نور، ولا هدي في غيره إلا وهو موجود فيه وزيادة.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٩٥٨٣) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٠٧١٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان برقم (٢٨١١) من حديث عبد الله بن قرط رضي الله عنه.

وأمتُنا المرحومة هي آخر الأمم في الزمان، ولكنها أول الأمم دخولا الجنة، ولها ثلثا مقاعدِ أهل الجنة؛ قال ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»[٢]، وأمتنا أمة منصورة مسددة مؤيدة ترافقها معية الله، وعنايته، ورعايته، وحفظُه.

وفي آخر الزمان يظهر الله هذه الأمة على سائر الأمم، ويمكنُها في الأرض حتى تحكم الناس بشريعة الإسلام السمحاء الشاملة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان؛ فينعم الناس برغد العيش فيها، ويتفيؤون ظلال حكمِها الوارفة حتى يرث الله الأرض وما عليها.

فاللّٰهُمَّ أحينا مخلصين مسلمين، وأرنا عز أمتِنا، وانتصارها، والتمكين وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بالصالحين.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٢٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

الأدب في النصيحة دليل صدقها

قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قالها ثلاث مرات فقال الصحابة:

«لمن؟» قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم»[1].

فلنحيي التناصح بيننا من جديد، ولنرفع لواء النصيحة لكل أخ مسلم، ولكل أخت مسلمة؛ مع مراعاة الآداب، والإرشادات المهمة التالية:

- الإخلاص في النصيحة لوجه الله تعالى، وللوصول إلى رضاه؛ لا لغرض الانتصار للنفس، ولا الانتقاص، ولا التشفي، ولا الانتقام.
- الوضوح في النصيحة وتحديد الخطأ الواقع بكل أمانة، ودقة وموضوعية.
- النصيحة بحب وود، وهو أن يكون قلبك محبا لأخيك حقا وصدقا، لا مبغضا، ولا كارها، ولا شائنا.
- الرفق في النصيحة؛ وهو أن ترأف به وتلين له الكلام؛ فاجتنب العنف والقسوة، والغلظة تماما.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري ﷺ.

○ تبيين عواقب الخطأ الذي وقع فيه المنصوح، ومفاسده وآثاره حتى تتسع مداركه، ويتفتح ذهنه لإدراك أبعاد، خطئه وحتى تعينه على العزيمة على ترك الخطأ، والتخلص منه.

○ الأسلوب الهادئ في الحوار المبني على الإنصات، والاستماع وتقبل وجهة النظر ما أمكن.

○ إبداء تقبل وجهة النظر المختلفة فيما يسوغ فيه اختلاف الحكم أو الرأي في ذلك.

○ ذكر بعضِ محاسن، وفضائل المنصوح كمقدمة حلوة وممهدة لطرح النصيحة، وهذا أدعى لقبولها.

○ أن تكون النصيحة بالسر وبدون فضيحة، ولا تشهير؛ لأن المشهر بالخطأ أعظم عند الله إثما وجرما ممن وقع في ذات الخطأ عامدا متعمدا.

○ مد يد العون للمنصوح لإعانته على ترك الخطأ أو المعصية وذلك باقتراح وسائل معينة، وطرق سديدة للتخلص من الخطأ والابتعاد عنه، واجتنابه.

○ عدم تعيير المنصوح لا تصريحا، ولا تلميحا، وتجنب الهمز واللمز أمام الملأ تماما.

○ الدعاء الصادق للمنصوح له في ظهر الغيب لكي يعينه الله على التخلص من الخطأ، أو المعصية.

هـذه بعـض الآداب المهمـة، وهنـاك آداب أخـرى؛ لكننـا اقتصرنا على هذه خشية الإطالة.

وكان يقـال عنـد بعـض السـلف: مـن أعطـي أربعـا لـم يمنـع أربعا: مـن أعطـي الشـكر لـم يمنـع المزيـد، ومـن أعطـي التوبـة لـم يمنع القبول، ومن أعطـي المشـورة لمـن يمنـع الصـواب، ومـن أعطـي الاستخارة لم يمنع الخيرة[1].

فـاللَّهُمَّ أعنـا على النصـيحة والتناصـح بيننـا على الوجـه المقبـول عندك حتى ترضى.

(١) [عيون الأخبار ١ / ٧٢].

حقوق الإخوة الحقيقة

علمنا نبينا، وحبيبنا، وقدوتنا محمد ﷺ في أحاديث كثيرة صحيحة أن المؤمن الصادق الحقيقي الذي يحبه الله يجبُ أن يكون مع أخيه كما يلي:

- يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويتسامح مع أخيه ويتصافح.
- ويتعاون مع أخيه على كل خير.
- ويتذكر حسنات أخيه، ويتناسى سيئاتِه.
- ويذكر فضائله، ويتغاضى عن عيوبه، ويسامحه، ويصفح ويعفو عنه.
- ويسعى للمِّ الشمل، واجتماع القلوب، والحب، والود والتآلف معه.
- ويصدق معه في النصيحة، ويؤطره على الحق أطرا، ويلزمه بالحق ويشير عليه بالخير.
- ويشد عضد أخيه، ويؤازره، ويفرح لفرحه، ويحزن لحزنه.
- ويعطيه حقه، وينزله منزلته، ويحترمه، ويقدره.
- ويذب عن عرضه، ويدافع عنه في غيبته بالحق.
- ولا يكيد له، ولا يمكر به، ولا يغشه، ولا يخادعه.

- ولا يحمله ما لا طاقة له به.
- ولا يسيء الظن به، ولا يهينه، ولا يحرجه، ولا يجرحه.
- ولا يخذله، ولا يسلمه، ولا يخونه، ولا يَحقره.
- ولا يكرهه، ولا يبغضه.
- ولا يتكبر عليه، ولا يتفاخر عليه.
- ولا يكسر قلبه، ولا يحزنه، وينصره على من ظلمه وبغى عليه.
- ويتمنى له الخير ويدعو له بظهر الغيب.

قال سفيان بن عيينة: نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة رحمه الله بالكوفة، فحمله على حمار، فسألوه فقالوا: يا عبد الله أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. قالوا: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان[1].

يا رب أعنا على محاسبة أنفسنا، وتحقيق هذه الصفات كاملة؛ إنك أنت مولانا الحق.

---

(١) [صفة الصفوة (٢/ ٦٧)].

تخير أصحابك وتعلم فقه الصحبة

الناس معادن فاختر المعدِن الأصيل، من الناس معادن شرفاء أصلاء قد نبتوا نباتا حسنا بهيجا، ومنهم من هو خبيث المنبت، نكد المعشر قد نبت على اعوجاج.

الصنف الأول: يعرفون بسماحة النفس، وطيب العشرة، وسرعة النجدة وكمال النخوة، وعفة النفس، وطيب الكلام.

والصنف الأخر: يعرفون بشح الأنفس، ولؤم الطباع، وضيق العطن والانقباض عند حاجتك إليهم، والانبساط بعد استغنائك عنهم ورب أخ لك لم تلده أمُّك، ورب شقيق لك بعيد عنك، وأنت في سيرك إلى الله في دروب الحياة تحتاج أخا لك صديقا خليلا، يعينك على الخير وعلى نوائب الحق ويدفعك إلى فعل الخيرات، والباقيات الصالحات وينهاك ويزجرك عن فعل الشر، وتعدي حدود الله.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن من الإيمان أن يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه إياه ولا محبة إلا لله ﷻ[1].

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٦].

فكما أنك تجدُّ، وتجتهد، وتسعى، وتكدح في لقمة العيش فيجب عليك أن تفعل مثل ذلك في البحث عن ذاك الخليل الطيب الأصيل الذي تجتمع فيه الصفات الجميلة، والأخلاق الكريمة؛ حتى تطرد عنك الوحشة، وتستشعر الألفة، وتذوق طعم الحياة.

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد

في فقه الصحبة في حياتنا نمر بكثير من العلاقات والصداقات نستأنس بها ونستمتع معها كثيرا، نتبادل معهم كثير من الاهتمامات، ونقضي معهم جل الأزمان والأوقات، نتجاذبُ معهم أطراف الحديث، ونبثُّ لهم الشكاوَى والآلام، والآهات.

نستأمن فيها على المشكلات والرزايا، ونؤتمن فيها على الأسرار، والخبايا.

ولكن لابد لنا من وقفة جادة مع أنفسنا نطبق فيها مواصفات الصديق الحقيقي؛ فأين هو الصديق المخلص؟ ، وأين نجد الصديق الصدوق الناصح؟ ؛ وهل التقيتم بصديق وفي شهم كريم؟!.

أم هل ظفرتم بصديق تقي نقي يذكركم بالخير، ويشجعُكم عليه، ويحزُكم عن الشر، ويمنعُكم منه؟!.

فقد كانوا إذا عدوا قليلا؛ فقد صاروا أقل من القليل؛ فلا تصادق أحدا إلا بعد تجربته، واختباره، وذلك بأن تعامله بالدرهم

والدينار، ثم ترى أمانته والتزامه ومصداقيته، وأن تغضبه حتى ترى ردة فعله نحوك.

وأن تطلب عونَه ونخوته، ونجدته؛ ثم ترى مدى مسارعته في مساندتك.

وأن تطلب منه التعاون على عبادة جليلة، أو عمل خيري يبقى أثره، ويكتب لك أجره وثوابه بعد رحيلك فتنظر في جديته واجتهاده معك.

وبعضُ الأصحاب عندما تعطيهم مصلحتهم، وتكون غنيا مستغنيا عنهم وعن خدماتهم؛ فإنهم يحبون قربك، وأنسك، ويبتهجون بزيارتك، ومجالستك فإذا احتجت إليهم نفروا منك كحمر الوحش وتنكروا لك، وتنصلوا من الوقوف معك، متذرعين بحجج، وأعذار كخيط العنكبوت وأحسنُهم طريقة من تعاطفَ معك بالكلام المجرد.

فلننتق الأصحاب والأصدقاء، والجلساء بعناية؛ فإذا ظفرنا بهم فلنحطهم بالحفظ والرعاية، فالمرء يحشر مع من أحب.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينِه فكل قرين بالمقارن يقتدي[1]

وقال الصعلوكي رحمه الله: إنا نحتاج إلى إخوان العِشرة لوقت العسرة[1].

---

(١) أبيات لطرفة بن عبد.

وكان يقال: أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم[٢].

والصاحب ساحب؛ فاختر لنفسك من يسحبك، ويقودك لفعل المعروف والخيرِ، ومن يشير عليك بالطريق الأقوم طريق الهدى والرشاد؛ فقد قالﷺ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»[٣].

فاللَّهُمَّ ارزقنا الصحبة الصالحة الطيبة المباركة، واجعل صحبتنا لوجهك الكريم، وفي سبيلك، وانفعنا جميعا بها إلى يوم نلقاك يا رب الطيبين يا رؤوف يا ودود.

---

(١) [سير اعلام النبلاء (١٣/ ٢١)].

(٢) [عيون الأخبار ٣/ ٥].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٤)، من حديث عبد الرحمن بن صخر ﷺ.

اجتهد في الستر على المسلمين كاجتهادكَ في فضيحة المجرمين

المسلم كريم على الله كريم على إخوانه المسلمين له مكانة خاصة في قلوبهم، فهو أخوهم، ومنهم، وإليهم، وعليهم؛ فهو محسوب عليهم شاءوا أم أبوا.

وله حقوق عظيمة واجبة عليهم منها الستر عليه ودفن عيبه، وكتمان خطئه ورفض إذاعته، والتشهير به، والذبِّ عنه والدفاع عنه في غيبته بخلاف المنافقين.

والذين في قلوبهم مرض فإنهم، يطيرون بالزلات وينبشون العيوب نبشا، ويصرون على نشرها وإذاعتها بين الخلق أجمعين عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

قال أبو الدرداء ﷺ: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول[1].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: اللسان قوام البدن فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة[2].

---

(١) [عيون الأخبار ٢ / ٥٧٣].

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٣].

فيا ويلهم من الله كم سيكسبون من سيئات وآثام إنها بالملايين، وكم سيغرسون من كره وبغضاء في المجتمع، وكم سيسببون من فرقة وشحناء بين الناس، وكم سيدفعون الناس للغيبة، والنميمة، والهمز والغمز.

واللمز فالمتسبب بالشر يتحمل وزره كاملا مكملا، ووزر غيره ممن تأثر بإشاعتك.

إن واجبك يا أخي المسلم الحق أن تسعى سعي حثيث، وتهرول للستر على كل مسلم قريبا كان أم بعيدا.

بل من واجبك أن تتجاهل عيبه تماما، وأن تسُد أذنيك وتغلق عينيك ثم تنصحه بلطف، وتوجهه برفق، وبطريقة غير مباشرة؛ لأن هدفك هو إصلاح الخطأ لا قهر المخطئ ولا إذلاله.

واعجبا من بعض المتعجرفين، يبصر الشعرة في عين أخيه ولا يرى الشجرة أو الجِذْع في عينه، ليس من شأنك أن تفتش، ولا أن تراقب ولا أن تتجسس بل هذه من صفات المفسدين المتسلطين.

قال النبي ﷺ: «من اطلع في دار قوم بغير إذنهم، ففقئوا عينه، فقد هدرت عينه»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ برقم (٥١٧٢)، وسكت عنه.

يعني أنه يجوز أن تقلع عينه بدون انتظار، وهذا هو القصاص العادل الذي جاء به الإسلام.

فليس من حقِّك أن تتبع خطواتي، ولا حركاتي، ولا أن تنقب، وتفتش عني وخاصة إذا أقفلت بابي.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ٢]. وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه الترمذي[١] وغيره[٢].

ومن وقع في خطأ أو ذنب مستترا بستر الله ثم استغفر منه فإن الله يغفر له ﷻ؛ قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وقال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين»[٣].

فإذا ستر الله على أخيك فلا يجوز لك كشف ستره، ولا إفشاء سره وإنما واجبك النصيحة له بالسر مع تمام الستر والدعاء له بأن يعافيه الله، وأن يهديه للتوبة والإنابة.

---

(١) برقم (٢٣١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٧٦)، وابن حبان برقم (١/ ٤٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مالك في الموطأ برقم (٢/ ٩٠٣)، وأحمد (١/ ٢٠١) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم بنحوه (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وإياك أن تتألى على الله وتتدخل فيما بينه وبين الله، وتحكم عليه بالهلاك أو الخسران، فقد يغفر الله له، وقد يبدل سيئاته حسنات، ثم يحبط عملك أنت أيها المتسلط العدواني فتكون من الخاسرين خسرانا عظيما.

فاللَّهُمَّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واجعلنا حصنا حصينا لإخواننا المسلمين يا رب العالمين

من زرع المعروف لا بد أن يحصده

ازرع المعروف اليوم تحصده غدا في نفسك، وذريتك. كن مِفتاحا للخير، وستوفق للدخول فيه من أوسع أبوابه، قل كلمة الحق بصدق واصبر.

وتحمل ما يصيبك، وسيُعزك الله ولو بعد حين، اسع في قضاء حوائج الناس وستقضى حاجتك أولا؛ فرج عن المهمومين، وسيزول عنك الهمُ تلقائيا.

وحسر النيل عن صخرة عظيمة، فإذا مكتوب عليها: اعمل الخير وتناساه وإذا عملت شرا فتذكره، أوشك من كان كذلك أن يلقى راحة طويلة[1].

ازرع جميلا ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زُرعا

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ١١٨].

لا تكن صيادا للعيوب متصيدا للزلات

اعتيادك على انتقاص الآخرين، والتنقيب عن أخطائهم وتضخيمها دليل على عقدة نقص كبيرة عندك، وشخصية عدوانية مزعزعة تقبع داخلك، تعشق التربع على عرش الجاه العريض، ولو على حساب تحطيم الآخرين وانتقاصهم.

قال أبو عثمان الحيري رحمه الله: احتقار الناس في نفسك مرض لا يداوى[1].

فمن كان هذا شأنه، وديدنه، فلا يجوز الرضى عنه، ولا السكوت عليه، ولا تمكينه من التحكم في قراراتنا المصيرية؛ لأنه ممن أخلد إلى الأرض و اتّبع هواه وانحرف عن صراط الله الذي يأمر بالعدل والقسط مع هضم النفس والتواضع لعباد الله، والسَّتر عليهم والنظرة الإيجابية المشرقة نحوهم.

والمؤمن الصادق يحب لأخيه ما يحبُّه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه؛ قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

أذية الناس شؤم عليك

---

(١) [تهذب حلية الأولياء (٣/ ٣٦٤)].

(٢) أخرجه البخاري(١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس ﷺ.

ثق يقينا ولا تشك في ذلك طرفة عين؛ أن كل إيذاء أو ضرر مادي، أو معنوي تلحقه بالآخرين عامدا متقصدا؛ فإنه سيدور الزمان دورته ويعود عليك ضرره حتما شئت أم أبيت؛ فهي سنة من سنن الله في الكون: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]؛ فالله ملك قيوم قائم مقسط حكم عدل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

فهو سبحانه يبغض الظالمين ويرصدهم، وينتقم منهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. ولا يرضى بالظلم، ولا يقبل به ﷻ؛ فقد قال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا»[1].

وقد وعد بإلحاق الخيبة والخسارة بهم؛ ووعده حق ولن يخلف الله الميعاد: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]؛ فربُك حي قاهر عليم قادر عالم بالغيوب والسرائر؛ مطلع على ما تخفيه القلوب، والصدور، والضمائر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

فإياك والظلم والاعتداء ولو باليسير فإن عاقبته وخيمة أليمة موجعة تنزل عقوبته عليك في نفسك، أو ولدك، أو مالك، أو ما تحب.

وكان معاوية ﷺ يقول: إني لأستحيي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله[١] وقال ابن عباس ﷺ: لو أن جبلا بغى على جبل لدك الباغي[٢].

ويأتي انتقام الجبار منك بغته حتى لا تستطيع أن تحتاط لدفعه، ولا يعطيك الله قوة لرفعه ولا حيلة لتحويله، ولا خطة لتبديله: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»[٣].

عندها تتجرع الحسرات، وتكثر منك الزفرات، وتندم على ما فات ولات ساعة مندم.

فتخلص الآن من الظلم ورد الحقوق لأهلها، واطلب منهم العفو والمسامحة وأكثر من الاستغفار والتسبيح آلاف المرات لعلك ترضى.

فاللَّهُمَّ طهرنا وخلصنا من الظلم، وارزقنا السلامة من آثاره، وثماره يا ربَ العالمين.

---

(١) [عيون الأخبار ١ / ١١٥].

(٢) [الحلية (تهذيبه) ١ / ٢٢٨].

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

بين قوة الحق والقوة في الحق

أعلنُها لكم هنا وبعد تجرِبة لسنوات طويلة، وأعوام مديدة توصلت إلى: أن التعامل بالطيب والنقاء مع أهل الحقد والخبث؛ يعتبر سذاجة وأن التواضع مع المتكبرين يعتبر ضعفا، وأن السكوت عن حقوقك مع من يستقصي حقوقه منك يعتبر تفريطا.

وأن اللين مع أهل القسوة والجبروت يعتبر عيبا، ونقصا، وأن الخوض مع أهل الباطل، والظلم والتغاضي عن باطلهم، وظلمِهم ومجالستهم بابتهاج، وارتياح يعتبر خيانة.

قال أبو الخير رحمه الله: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانا وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقا وعلامته الحقد والغل والغش والحسد[1].

فنحن الآن أحوج ما نكون إلى مثل شخصية عمر ﷺ حزم وشدة في الحق، وقوة في الشخصية، وجرأة، وصراحة في أخذ الحق لأهله، وفي دحر الباطل وأهله، وفي محاربة أهل الهوى.

---

(١) [الحلية (تهذيبه) ٣ / ٤٦٥].

فلا مكان بعد اليوم للضعفاء، ولا للمتخاذلين، ولا للجبناء ولا للمتميعين، فلن نقبل بعد اليوم لبسا ولا تلبيسا.

فالحق أبلج والباطل لجلج، والحق والهدى له أصحاب، وأعوان وأنصار، والباطل والهوى له أصحاب، وأعوان، وأنصار.

ولا اجتماع بين الفريقين، إلا إذا انتقل أحد من أهل الفريقين إلى الطرف الأخر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

عزو الفضل لأهله فضيلة

اعترافك بفضل الآخرين عليك وعلى المجتمع في كل دعم قدموه معنويا كان كعلم، أو حكمة، أو نصيحة، أو ماديا كمال، أو وظيفة أو دين.

اعترافك بذلك، وشكرُك وتقديرك لهم يدل على:

١) وفور عقلك.

٢) ويقظة ضميرك.

٣) وحسن سلوكك.

٤) وزكاة وطيب نفسك.

٥) وصحة وسلامة نفسيتك؛ لأن اعترافك بالجميل وبالمعروف لمن أسداه إليك لن يذلك، ولن ينقصك شيئا.

بل سيزيدك محبة، وقبولا، وسيجعلك إنسانا متفاعلا تفاعلا إيجابيا مع من صنعوا إليك معروفا، ويمنحهم طاقة إيجابية منك ترتد إليك بعد وصولها إلى أهل المعروف.

وكذلك سيتعود المجتمع، على العدالة والقسط، والإنصاف وسيشجع أفراد المجتمع، ويشحذ هممهم ويستنهضها على بذل المعروف بنشاط وحيوية وفاعلية؛ لأنهم لم يكونوا من المجحودين.

وكما أنه سيكسر الكبر والغرور في نفس المستفيد من المعروف حتى وإن كان كبيرا أو وجيها، فما منا إلا مفيد ومستفيد معنويا، أو ماديا، كما تقدم بيانه.

كما إنه سيساعد المستفيد على التخلص من صفة الجحود، وقد قال النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(١)، وقال ﷺ: «إذا اصطنع أحدكم إلى أخيه معروفا، فقال له: جزاك الله خيرا، يقول الله تعالى: عبدي أسدى إليك أخوك معروفا فلم يكن عندك ما تكافئه، فأحلته علي والخير مني الجنة»(٢).

فلا بد إذا من تربية النفس على الاعتراف بالجميل لأهل المعروف والجميل.

كما لابد من أهل المعروف والجميل أن يعلموا أن فضل الله عليهم عظيم في كونه اختصهم بأن يكونوا مَفزعا للناس بعد الله تعالى في تعليم جاهلهم، أو حلِّ مشكلاتهم، أو إغاثة ملهوفهم، وقضاء حوائجهم.

---

(١) رواه أحمد (٧٧٥٥)، وأبو داود (٤١٩٨)، والترمذي- صحيح الجامع (١٩٢٦).

(٢) رواه الدارقطني عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ (٥٤/ ٥)، واسناده مظلم فيه عدة مجاهيل.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبعت ورويت عمي القلب[١].

فليحمدوا الله كثيرا، وليبتعدوا عن المنة والرياء، والسمعة؛ وليتذكروا هذه الآية جيدا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فلابد أن نتعود أن نقول دوما للمحسن أحسنت، وللمسيء اسأت حتى نصبح مجتمعا حضاريا راقيا، يسود فيه التنافس على فعل المعروف، والبر بأنواعه.

وحتى يكون قدر الإنسان ومنزلته على حسب ما قدمه من معروف معنوي، أو مادي لمجتمعه، لا على نسب، أو حسب، أو تسلط.

وكان يقال: زكاة النعم: اتخاذ الصنائع والمعروف[٢].

فاللّٰهُمَّ ألهمنا رشدنا، واجعلنا من أهل المعروف في الدنيا والآخرة يا أكرم الأكرمين.

---

(١) [صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣].

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٨].

ميزان العدالة

العدالة أسٌّ عظيم من أسس الإسلام، وقواعده الراسخة، العدالة منهاج قويم يُرَسِّخ الطمأنينة، وينشر السلام العدالة، شجرة طيبة مباركة، وارفة الظلال.

العدالة هي قوة الحكمة، وحكمة القوة؛ فالعدالة هي ميزان القسط والقسطاس المستقيم؛ والعدالة هي ميزان المؤمن الصادق في كل شؤونه.

يزن بها الأشخاص، والأحوال، والقضايا، والأفكار؛ فيكون مقسطا عادلا لا قاسطا جائرا، ويكون للحق والعدل عونا معوانا، ويكون للباطل، والظلم دافعا ورافعا.

فليس في نظرته، ولا في حكمه على الأشخاص، أو الأحزاب أو الجماعات أو الحكومات جور ولا ظلم، ولا ميل ولا حيف ولا تحيز، ولا عنصرية، ولا غلط، ولا شطط، ولا تهويل، ولا تضخيم، ولا مبالغة، ولا مزايدة، ولا حقد ولا تشفي.

فتجد العادل المقسط متزنَ الفكر، قويم السلوك، يقدر الأمور قدرها وينظر إليها من زوَايا مختلفة.

يمشي شامخ الرأس بخطى ثابتة، وقلب عزام ليحقَّ الحقَّ، وينصر المظلوم.

وينصف المهضوم، ويأطر السفيه، ويكف المعتدي، ويردع الظالم، ولا يسمح بالتباس الأمور، ولا خلط الحق بالباطل.

فالحق أبلج، والباطل لجلج، هكذا هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى وقادة الإصلاح ودعاة النجاة والفلاح، قائمون بأمر الله يقضون بالحق، وبه يعدلون قال ﷻ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقال ﷻ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، وقال ﷻ: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

عن الزهري: أن أبا الدرداء ﷺ، انتهى إلى جارية له ترعى غنما، فأعطى جاريته فرسه، ثم قال: لا يغلبك، ثم طاف في غنمه، فانفلت الفرس فجالت[١] الغنم حتى تكسر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتد رافعا السوط، حتى إذا دنا منها كف وقال: لولا القود[٢] لأوجعتك[٣].

---

(١) أي هاجت واضطربت.

(٢) القود: القصاص ومجازاة الجاني بمثل صنيعه.

(٣) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٤٩].

فاللّٰهُمَّ سخر لهذه الأمة من يقوم بالحق، ويقيم الحق، ومن يرسخ الهدى، وينصر العدالة، ويرفع الظلم، والبغي، والغي، والجهالة بقوة منك، وتمكين يا ذا القوة المتين.

الايثار والاستئثار

ما أجمل الزهد في متاع الحياة الدنيا وزخرفها، وغرورَها، وعرضِها الزائل، ما أجمل أن تعطي أخاك وأنت محتاج، وأن تكفي أخاك قبل أن تستكفي.

وما أجمل أن تهتم وتفكر في أخيك قبل أن يهتم لك ويفكر فيك، وأن تزرع الخير والمعروف له مبتدئا به دون استحقاق منه، ودون أن تنتظر منه جزاء ولا شكورا، ولا ثناء، ولا مدحا؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورا﴾ [الإنسان: ٩].

نعم إنها نفوس نبيلة مشرقة زاكية تلك النفوس التي لا تنافس على حطام الدنيا ولا تزاحم على متاعها.

فمن نافسك في منصب وهو كفؤ له فامنحه إياه وأعطه فرصة ليقوم بحقوقه ومن تشوقت نفسه لشراء بيت، أو سيارة، أو بضاعة نفيسة كنت أنت قد قررت شراءها فامنح أخاك فرصة لشرائها فقد قال ﷺ: «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه»[1].

---

(١) هذا لفظ ضعيف لم يصح عن النبي ﷺ؛ بل هو مشهور لدى عامة الناس؛ وورد عن الإمام أحمد بلفظ آخر؛ أخرجه أحمد في مسنده(٥/ ٧٨، ٣٦٣) عن أبي قتادة ﷺ.

وهكذا الجاه والسمعة والوظيفة والحظوة عند الخلق عود نفسك على أن تمنح أخاك فرصة ليستمتع بما استمتعت به من مباحات متاع الدنيا.

واعلم أن ربك معك مطلع عليك يعلم سرك ونجواك ونيتك وعملك، وسيعطيك خيرا مما تؤمل وسيعوضك خيرا مما فقدت ويكرمك بما لا يخطر لك على بال وبما هو فوق التصور والخيال.

فالمهم هو المصير والعاقبة، والمآل وليس ما تبصره في الوقت والحال.

فكم من إنسان سمح النفس، زاكي، طاهر، خفي، تقي؛ أعطاه الله بعد سنوات من ثباته جاها عريضا بلا سعي ولا طلب، وسمعةً طيبة بلا ظاهر سبب، وحبا وقبولا في قلوب الخلق خيرا مما أمل.

وتمنى وطلب ومنحه من النعم خيرا مما يحتسب؛ لأن الله على كل شيء شهيد، وبكل شيء عليم، وعلى كل شيء وكيل وهو الرب المحصي الشكور الذي يَشكُر على القليل.

فيجازي عليه بالكثير فلا تنافس أحدا في دنيا، ولا جاه، ولا منصب ولا مال، ولا تتشاحن لأجله.

فلا تدري لعل الله رحمك فأبعد عنك الفتنة، ولعل الله رحمك فصرف عنك الحسد، والعين، والأنفس الشريرة، ولعل الله أراحك من العناء وفتح لك من الخير والبر أبوابا.

فما منعك ربك من شيء إلا ليعطيك، ولا حولك إلى أمر إلا ليجزل عطاءك بشرط تحقيق الإخلاص، والصبر، والتوكل، واليقين.

وانظروا إلى الصديق ﷺ عندما قال لهم في اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة لأجل انتخاب خليفة للمسلمين: «لقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبي عبيدة»[1]؛ فقالا -رضي الله عنهما- مستنكرين: «معاذ الله أن نتقدم عليك يا أبابكر»؛ هل نتعجب من تنازل أبي بكر مع فضله، وأحقيته ومكانته أم نتعجب من رفض عمر مع قوته، وتمكنه، وعبقريته، وحسن سياسته؛ بل أقول والله لا عجب؛ فهم يرون أنها أمانة ثقيلة، ومسؤولية عظيمة يوم القيامة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. ثم بعد أيام يسيرة وقف الصديق على المنبر خطيبا؛

(١) ذكرها الإمام البخاري في كتابه باب الحدود ص (٢٥٠٧).

وقال: «أقيلوني»[1] طالبا إقالته من الخلافة خوفا ووجلا من ربه العظيم سبحانه.

عن مالك الداري: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، ثم تَلَهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع.

فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. قال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل ﷺ، وتلهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا. فاطلعت امرأته، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا،

---

(١) ذكرها بن الملقن في البدر المنير(٢٩٣/ ٢)؛ وهي غريبة لم يعلم من رواها كما قال في مقدمته.

ولم يبق في الخرقة إلا ديناران. فدحا بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض[1].

فاللَّهُمَّ مكن في قلوبنا السماحة والإيثار، وأخرج منها الأنانية والاستئثار واجعلنا من عبادك الأخيار الأبرار يا رب يا عزيز يا غفار.

(١) [الزهد للإمام أحمد (١/ ٢٢٢)].

حسن الظن مفتاح الخير

حسن الظنِّ بالمؤمنين واجب، وهو أساس من أسس الحبِّ والتعاون وهو ركن من أركان قيام البناء الحضاري في المجتمعات، ولنتذكر جميعا قول الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

وهي وصية واضحة جلية؛ أن الأصل في المؤمنين أن يحسنوا الظن دائما، وأن لا يقبلوا في بعضهم فتنة، ولا تلبيسا، ولا تشويشا، ولا تشويها، ولا تهمة، ولا فرية، ولا إشاعة، ولا إذاعة، ولا إفكا، ولا بهتانا.

فالأصل في المؤمن أنه مصون السمعة، محشوم الجانب، محفوظ العرض، لا نقبل فيه قالة السوء، ولا حتى أن تحدثنا أنفسنا عنه بسوء لأن أول العداوات سوء الظن؛ يتبعُها إضمار الشر يتلوها إرادة الانتقام، وما يصاحبه من شحناء وحقد، وغل، واحتقار؛ ثم يلحق بها الفتك بالضحية، وأي ضحية تلك؟! ؛ إن تلك الضحية التي ضحيت بها هي أخوك المؤمن المحب لله، والمطيع لمولاه الذي أمرك الله بحبه، ونصرته وإكرامه وولايته والذبِّ عنه، والدفاع عنه ومساندته، والعفو عنه، والصفح عنه، ومسامحته.

فالمؤمن مرآة أخيه، والمؤمن للمؤمن كالبنيَان يشد بعضه بعضا ولا يتحقق إيمانك إلا بأن تحب له ما تحبه لنفسك، وأن تكره له ما تكرهه لنفسك.

وكان بكر بن عبد الله رحمه الله يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم. قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم[1].

وقال مكحول رحمه الله: رأيت رجلا يصلي، وكلما ركع وسجد بكى فاتهمته أنه يرائي ببكائه فحرمت البكاء سنة[2].

فهل تحب لنفسك أن يساء فهمك، أو أن يضمر الناس عنك سوءًا أو شرا؟

كما لا ترضاه لنفسك؛ فأولى بك ألا ترضاه لغيرك.

فاللّٰهُمَّ أصلح نياتِنا، وذرياتِنا، واحفظنا من كل سوء ومن سوء الظنِّ بالمؤمنين.

---

(١) [الحلية (تهذيبه) ١ / ٣٧١].

(٢) [الحلية (تهذيبه) ٢ / ١٨٢].

والصلح خير

لأجل الصلح وسعيا للصلح، وإدْرَاك لأهمية الصلح، ومكانته في الإسلام.

ولحق القرابة، والرحم، والصحبة، وللّٰهُمَّ المشترك بيننا في خدمة الإسلام والمسلمين.

يجب أن نتنازل، يجب أن نتناسى، يجب أن نتغاضى، يجب أن نتجاوز، يجب أن نصفح، يجب أن نتسامح، يجب أن نتسامى، يجب أن نصمت أحيانا، يجب أن نكفَّ عن الدخول في التفصيلات، يجب أن نكفَّ عنِ الجدل فورا، يجب أن نكون كبارا، يجب أن نطرد المفسدين أصحاب الوجهين من بَيْنَنَا، يجب أن تسود لغة التفاهم الهادئ.

يجب أن نقدر، ونحترم من يُخَالِفُنَا في الفهم والتقييم والاستدلال، وأن نحسن الظن به، يجب أن نتقدم خُطوَات جريئة للأمام، يجبُ أن نقدم المصلحة العليا على المصالح الخاصة.

هذه الوصايا المهمة هي موجهة لكلا الطرفين المختلفين، ولا يجوز بحال أن يفهم تقدم طرف نحو الآخر بسرعة، وسلاسة، وأريحية؛ أن ذلك دليل على خطئه نحوه!.

بل هو دليل على نبْله، وسماحتِه، وسرعة تنفيذه لأمر ربه ومولاه العظيم بقوله لنا آمرا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

فهكذا ربُّنا يأمرنا وهو أعلم بنا، وبما يصلحنا؛ فيجبُ الانصياع، والانقياد لأمره حقا، وكسر الكبر، والغرور والعناد حتى يكون انقيادُنا لأمر الله يغلب انقيادنا لهوى نفوسنا: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

والصلح الحقيقي هو خير كله، هو خير في العاجل، والآجل فهو يعطي راحة نفسية عجيبة، وطاقة إيجابية جبارة، ورضا وسكون، وسكينة، ويقودنا للإنجاز مع الإتقان؛ لأن يد الله على الجماعة، ويد الله مع الجماعة، ومعية الله معهم.

فحصولنا على معية الله خير لنا من حصولنا على معية فلان وعلان من بني الإنسان، فلا تفرطوا في معية الرحمن، وادحروا الهوى والشيطان، وظننا بالجميع أن قلوبهم مليئة بالخير ومحشوة بطيب الخصال، وأن صدورهم تتسع لإخوانهم وأبناء عمهم.

فرحم الله من أسرع نحو الصلح، ورحم الله من بدأ بالصلح ورحم الله من تنازل لوجه الله، ورحم الله من تخلص من عقدة الأنا، ورحم الله من كان قدوة في الخير.

قال أبو عبد الله بن علان رحمه الله: ما من عبد حفظ جوارحه إلا حفظ الله عليه قلبه، وما من عبد حفظ الله عليه قلبه إلا جعله الله أمينا في أرضه، وما من عبد جعله الله أمينا في أرضه إلا جعله إماما يقتدى به، وما من عبد جعله الله إماما يقتدى به إلا جعله حجة على خلقه[1].

فاللّٰهُمَّ أصلحنا، وأصلح بنا، واجعلنا هادين مهديين واجمع شملنا على ما يرضيك يا رب الطيبين.

(١) [الحلية (تهذيبه) ٣ / ٤٥٢].

الشجاعة الحقيقة

من قوة شجاعتك تحكُمُك في ذاتك، وسيطرتك على أعصابك، وأن تمْلك نفسك عند الغضب، من قوة شجاعتك عزيمتك القوية التي لا تعرف التردد من قوة شجاعتك اتخاذك للقرار الجريء الحكيم في الوقت المناسب، من قوة شجاعتك اعترافك بخطئك.

والاعتذار منه وتصحيحه فورا، من قوة شجاعتك قولُ كلمة الحق، والوقوف مع الحق، وأهل الحق مهما كلفك من ثمن، من قوة شجاعتك محاربتك للهوى وللنفس الأمّارة، من قوة شجاعتك المبادرة والمسارعة للتصالح مع إخوانك وبدؤك إياهم بالسلام عليهم.

من قوة شجاعتك مسامحة من أخطأ عليك بدون قيد أو لا شرط.

من قوة شجاعتك تنازلك عن حقوقك الخاصة لأجل تحقيق المصلحة العامة وجمع الشمل وإبقاء الألفة والود، ولقطع الطريق أمام أهل الفساد والإفساد من قوة شجاعتك تواضعك، وخفض جناحك للمؤمنين، وأن تكون هيِّان ليَّنا سَهلا قَرِيبا معهم.

وجاء رجل إلى سلمان الفارسي ﷺ، فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك[1].

من قوة شجاعتك إصغائك للنَّصيحة، وتقبلك لها بصدر رحب، وشُكْرُك للناصح، ودُعَاؤك له، من قوة شجاعتك حرْصُك على تعلم العلم النافع والحكمة من الصغير، والكبير، والقريب، والبعيد.

(١) [جامع العلوم والحكم / ١٩٣].

اعترف بعيوبك كما تظهر فضائلك

نتلاقى في الدنيا كثيرا، ونتجالس مجالس عدة، ونتزاور زيارات متعددة ونتشارك في مشاريعَ وأعمال، ومهام متنوعة، وكل واحد منا يحرص على أن يتزين عند الآخر بأحسن ما فيه، ويخبئ عيوبه، وأخطاءَهُ، ومساويه.

ويظهر فضائله، وحسناته، وإنجازاته، ويحرِص على تحسين سمعته وإقامة جاهه أكثر من حرصه على إقامة دينه، ومبادئه، وقيمه وأخلاقه، مع علمنا يقينا أنه لاَ يُبْقِيَ من القول والعمل إلا ما أريد به وجهه سبحانه.

وما سوى ذلك فهالك باطل مضمحل متلاشي ممسوخ ممحوق البركة، قال ﷺ في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء[2].

فلنقف وقفة صادقة مع أنفسنا، ولنراجع حساباتنا، ولنصحح نياتنا لعل الله تعالى أن يتقبل أعمالنا، ويدخلنا في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) [الحلية (تهذيبه) ٣ / ٢٧، موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٥٠٦].

رحمته، ورضوانه قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

المتسلقون أصحاب المصالح

يتنافسون، ثم يتصادمون، ثم يتصارعون، ثم يتقاطعون؛ في ماذا وعلى ماذا؟! على الحطام، وفي سبيل الحطام الفاني، وعلى السراب وفي سبيل السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

وجوه بئيسةٌ مقطبة، نفوس شريرة متحفزة كالوحوش المفترسة التي توشك أن تنقض على فريستِها؛ إنهم يتهارشون على المنصب، وعلى الجاه، وعلى المركز وعلى السمعة، وعلى المال؛ عبر أحزاب، أو جماعات، أو جمعيات شعارُها نصرة الإسلام؛ وحقيقتُها نصرة النفس والهوى، والتسلط على الناس والتحكم فيهم، وتصفية الأحقاد والثارات.

إنها النفعية والوصولية الدنيئة باسم الإسلام يفنون أعمارهم، ويبددون طاقتهم في التخطيط بمكر، وفي التنفيذ بغدر وكله باسم الإسلام؛ شاهتِ الوجوه شاهتِ الوجوه.

فيا أمة محمد ﷺ انفُضوا الغبار عن رؤوسكم، وأزيلوا الغشاوة عن عيونكم وتحرروا من قيودكم الوهمية، فقد طال الرقاد!

انفُضوا أيديكم من الأدعياء، وضعوهم على المحك، اطلبوا منهم التنازل عن كراسيهم ومناصبهم الدينية، والدعوية، والإغاثية والتنموية، وتركها لمن هو اكفأ منهم.

فإن استجابوا فقد كفيتم؛ وإن لم يستجيبوا فتيقنوا أنهم يريدون العلو في الأرض، وأنهم ليسوا أصحاب رسالة ومبادئ؛ بل أصحاب هوى ومصالح ذاتية رخيصة، فانفضوا أيديكم منهم، واكشفوا زيوفهم فهم شر على الإسلام من الأعداء الظاهرين؛ والله من ورائهم محيط.

في أرض الواقع تظهر معادن الشرفاء

ما أمتع الحديث عن التضحية والإيثار، وما أحلى الحديث عن العفو والتسامح، وما أسهل الحديث عن الصبر لوجه الله. إنها قيم سامية إنها أخلاق عالية، إنها صفات جميلة لها والله طعم فيه حلاوة، ولها لذة عليها طلاوة.

لكنَّ طعمها اللذيذ لا يشعر به إلا من عايشها، ولا يتذوقه إلا من تمثل بها ونفذها على أرض الواقع غير هياب، ولا مرتاب ولا عجزان، ولا كسلان. وقد تعوذ حبيبنا، وقدوتُنا الأكبر نبينا، وحبيبنا ﷺ من دائي العجز والكسل. فما أسهل الحديث عنها، وما أحلاه، وما أمتعه، وما أقل من يستطيع ترجمتها على أرض الواقع.

فيا إخواني الكرام، ويا أخواتي الكريمات: استشعروا قيمة تلك الصفات والمعاني، وطبقوها في حياتكم حتى تصبح بنيانا ومباني، فلا قيمة لظاهر العمران والمباني بلا روح ولا معاني، ولا قيمة للمعاني إذا لم يشيد بها البنيان والمباني.

إننا بحاجة ماسة يا أمة محمد ﷺ إلى قدوات من الرجال والنساء الأطهار الأبرار ليقودوا مسيرة التغيير حاملين رايات الهدى بقوة، وعزم، وجد وحزم وصبر، واجتهاد، ومرونة، وانقياد. حتى يكونوا هم الطليعة الأولى لبناء المجد لأمة العز والمجد؛ لأن العز، والمجد كل المجد في تشييد بنيان القيم والأخلاق.

أهل الضمائر الحية والمعادن الكريمة

خلق الله الإنسان، وأودع فيه أسرارا وأسرارا، وجعل فيه مشاعر وأحاسيس تتجدد، وتتغير بين مد، وجزر، وقوة، وضعف!. وجبل بعض النفوس على الطيب والأصالة؛ فجعل معدنهم كريما أصيلا مباركا؛ قال ﷺ: «تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

ومن سماتهم: أنهم لا يرضَون بالانحراف، ولا بالاعوجاج؛ وأنهم لا يسمحون لأنفسهم بظلم أحد، ولا بإيذائه؛ بل ولا يسمحون لأنفسِهم بمجرد الحقد، والغل على أحد من الناس ولو لساعة واحدة. بل إنهم لا يرضَون بأن يظلم أحد عندهم، أو بحضرتهم؛ بل ولا يسمحون بأن يسمعوا بظلم أحدٍ حتى يهبوا مبادرين مسارعين إلى نجدته، وإنقاذه من الظلم. قال ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ ؛ قال: تكفه عن الظلم»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٩٣)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥١٦٧)، وأحمد (٣/ ٢٠١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

ومن سماتهم أنهم يتورعون عن الشبهات والمشتبهات، ومن سماتهم أنهم يقبلون العذر، ويتقبلون المعاذير، ويصفحون عن الأخطاء صفحا جميلا.

ومن سماتهم أنهم يبادرون للصلح والتصالح، ويقبلون به، ويتقبلون نتائجه بصدر رحب، ونفس زكية رضية؛ قال ﷻ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ٢٨]فهو خير كله.

ومن سماتهم أنهم يتغاضون عن زلات غيرِهم، ويتغافلون عن أخطائهم نحوهم، ولا ينقبون، ولا يدققون في الملاحظة لتتبع عيوبِهم؛ قال ﷺ على المؤمن: «الهين اللين السهل القريب»[1].

ومن سماتهم أنهم يدعون لإخوانهم في خلواتهم، وأنهم يحبون ويتمنون لهم ما يحبون لأنفسهم، ويخافون عليهم مثل خوفهم على أنفسِهم، وأنهم يبادرون بالنصيحة لمن ينتفع بها، وبالاستشارة الصادقة لمن يلتمسها منهم.

فهؤلاء هم أهل الضمائر الحية، والمعادن الكريمة الذين يشعر الناس بالسكينة والأمان عند تواجدِهم بينهم ويدفع الله الشر والبلاء عن الناس بهم، ولا تستقيم أمور الناس إلا بحضورهم، وتواجدِهم؛ لأن قلوبهم طاهرة نقية، ونفوسهم راضية زاكية، ومعادنهم، وطينتهم كريمة، وهم أولياء الله تعالى الذين

---

(١) الكنى والأسماء للدولابي (١/ ٢٦٧) (٤٧٤) صحيح لغيره.

يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا لأن الله لا ينظر إلى الصور، والأشكال، ولا إلى الثراء والغِنى والأموال، ولا إلى المناصب، والشهادات، والسمعة؛ بل ينظر إلى القلوب، والأعمال؛ كما قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[1]. فاللَّهُمَّ ارزقنا قلوبا طاهرة سليمة، ونفوسا زاكية رضية مستقيمة وضمائر حية، ومعادن كريمة؛ إنك رحيم كريم وهاب.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٦٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

لا خير مع الأنانية

لا تكن عبدا لمصلحتك الذاتية الخاصة، ولا تتملق لمن تطلب مصلحتك منه بما ليس فيه؛ فإنه يَقْبُح بالرجل كامل الرجولة أن يكون متملقا متصنعا للود وهو جافي. وأن يتظاهر بالحب وهو شاني قالي، وأن يكيل المدائح الكاذبة لمن يكثر من ذمه سرا وعلانية. كما يستنكر من المؤمن الصادق أن يكثر من سؤال الناس والوقوف ببابهم والأشد نكرانا أن يصاحب الناس ويستغلهم لتلبية وتنفيذ رغباته وأهوائه الخاصة.

آن لك أيها المسلم الحق أن تتخلص من الأنانية والاستغلال البشع وأن تتشافى من حب الدنيا والأثرة[1] فيها، وأن تقنع بنصيبك، وتقتنع قناعة كاملة بأن الله هو الغني المغني المعطي المانع، النافع الضار القابض الباسط.

قال الحسن البصري رحمه الله: ليس من حبك الدنيا: طلبك ما يصلحك فيها ومن زهدك فيها: ترك الحاجة يسدها عنك تركها، ومن أحب الدنيا وسرته: ذهب خوف الآخرة من قلبه[2].

---

(١) الأنانية وحبَ النفس، وتطلق على ما لا يهدف إلا إلى نفعه الخاص، عكسها الإيثار .

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٩٠].

فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ استغن بالله تكن غنيا، ارض عن الله تكن رضيا.

كن صاحب عزيمة واعرف ماذا تريد

لا تبنِ أمنياتِكَ وأحلامكَ على أكتاف الآخرين، بل قدر أتعابهم وخبراتهم واعترف لهم، ثم استشرهم، واستفد منهم.

وليكن لك خطة خاصة واضحة المعالم، ثم اعمل على تنفيذها بكل همة وحزم واقتدار، وثبات، وصمود وإصرار، واستمرار.

نظر رجل إلى معاوية ﷺ وهو غلام صغير فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند رضي الله عنها: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه[1].

وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا، فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا، فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا، فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له[2].

---

(١) [عيون الأخبار ١ / ٢٥٦].

(٢) [صفة الصفوة ١/ ٢٦٧].

التكبر والتجبر سبب الحرمان

ينتقل الجبابرة المتكبرون من شقاء إلى شقاء، ومن ضيق إلى ضيق ومن حسرة إلى حسرة، ومن عسر إلى عسر، ومن ألم إلى ألم.

فقد نازعوا الحقّ سبحانه في صفة من صفاته وهي الكبرياء فاستحقوا من الله اللعنة، والطرد، والسخط، والمحق والبغض، والمقت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومن عقوبة الله العاجلة لهم أنهم يكرهون أنفسهم ويمقتونها مقتا: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

إبليس قائدهم ورائدهم إلى النار، حيث تكبر على آدم عليه السلام وأبى أن يسجد له، واعترض على الله فصار من الكافرين المطرودين من رحمة الله؛ وصدق حبيبنا ﷺ عندما قال محذرا: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

وهكذا المتكبرون لا يطيقون حتى مجرد سماع النصيحة أو التوجيه، أو النقد البناء، وبعضهم لا يطيق حضور محاضرة أو

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

درس بحجة أنه متعلم، وواع، وعالم، وبعضهم يرفض مقابلة خصمِه كبرا وتيها؛ مع أن أخيار الأمة حضروا مع خصومهم.

فالكبر هو: بطر الحق أي رفض الحق، وغمط الناس أي انتقاصهم واحتقارهم، وقد توعدَ الله المتكبرين بصرفهم عن آياته، وهداه؛ فقال ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٦].

عن ثابت قال: كان سلمان الفارسي ﷺ أميرا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام، ومعه حمل تِبن وعلى سلمان أندرا ورد، وعباءة، فقال لسلمان: تعال احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى: إني قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك[1].

فلنتخلص من الكبر، ولنهرب منه، ولنجاهد أنفسنا على قبول الحق والانقياد له ممن جاء به حتى ننجو من عذاب الله تعالى.

---

(١) [صفة الصفوة ١/ ٢٥٦].

لا تقوم أمة بغير الصدق

صفة عظيمة جليلة، ونبيلة هي علامة أهل اليقين والإيمان، وسمة أهل الضمائر والوجدان، بتحقيق الصدق يتحقق الحب والاحترام بيننا ولو بعد حين.

وبتحقيق الصدق نبني التصورات الصحيحة، والأفكار السديدة القويمة وبتحقيق الصدق نكتشف الحقائق، ونزيل الغشاوة عن الأعين.

وبتحقيق الصدق نشعر بقيمتنا الحقيقية لا المزيفة، ونستفيد من إمكاناتنا وقدراتنا الواقعية لا الافتراضية نستطيع أن نبني أمتنا بالصدق لبنة فوق لبنة حتى نحقق النصر والتمكين، ونسمو بها نحو المجد والعلياء، ولا نستطيع أن نقيم بناء واحدا بالكذب والتزييف إلا ويخر فوق رؤوسنا ليحدث عجاجا وركاما.

الكذب علامة المنافق الجبان، والصدق علامة المؤمن الشجاع، ونجد بعض وليس كل المجموعات، أو التكتلات المنتسبة للإسلام تريد بناء مجد الأمة. بل مجدها هي بطريق الكذب والظلم والتزييف، والتملق والمداهنة، وإذا قامت بترشيح قادتها الذين سَلَّمَتهم زمامها، وقيادها بطريق الخديعة والكيد والمكر وبغرض تقاسم المصالح الخفية وتوزيع الأدوار الكاذبة المصلحية الرخيصة.

فإن الله تعالى العليم الخبير سيجعلها تبوء بالفشل والخيبة، والفضيحة والخسران ولو بعد حين؛ فما بني على الباطل فهو باطل، ولن يمكن الله تعالى لأهل الزيف والباطل إلا عند أمثالهم، وأشكالهم، أو المستضعفين من المؤمنين.

وقد يؤيد الله هذا الدين بالرجل الفاجر، ومن لا خلاق له، ولا حظ ولا نصيب فيسوقه الله القهار الجبار سوقا لتنفيذ قدره، وقضائه وأمره، بنصرة دينه؛ ثم يحرقه في نار جهنم بعد انقضاء مهمته ودوره عياذا بالله ولياذا؛ قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وقال ﷻ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقال ﷺ: لا تجد المؤمن كذابا [١]، وكان ﷺ يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك[٢].

فاللَّهُمَّ تولنا، واهدنا، وانصرنا، ولا تستدرجنا، ولا تمكر بنا بسبب ذنوبنا يا رب الطيبين.

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩].

(٢) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩].

إياكم وذو الوجهين

النفاق الاجتماعي هو الشر الأكبر وشر الناس يوم القيامة ذو الوجهين.

الصدق، والصراحة، والوضوح؛ أصبح عملة نادرة في هذه الأزمان.

وللأسف فإنك تجد الناس اليوم يتهربون من الصدق والصراحة والمواجهة الإيجابية بالنقد البناء، ويسلكون طريقا ناعم الملمس، ويتبعون منهجا منحرفا ألا وهو المداهنة في قول كلمة الحق، والميل مع الموجة يمنة ويسرة؛ حتى تتقلب أفئدتهم، وأبصارهم حسب المصلحة الذاتية الرخيصة.

تتبدل مواقفُهم حسبَ الهوى، والمزاج المنحرف؛ فيميل بهم، ويجرِفُهم إلى أودية سحيقة مُظلمة، وتجد أحدَهم يأتي فريقا بوجه، ويأتي الفريق الأخر بوجه أخر ليكسب ولاء الجميع زعم، وليكون له حظوة عند الجميع!

فمرة يصفق لهذا، وأخرى يصفق لذاك، مذبذب بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، وبين الرشد والغي.

والله لو كنا صادقين مع الله حقا لصدعنا بالحق، ولواجهنا الناس بالحقائق ولقمنا بالنصح الصادق الخالص الواضح الصريح

الجريء على أحسن وجه بدون إساءة، ولا ظلم، ولا اعتداء، ولا تأخر، ولا تردد، ولا تلعثم ولا خوف ولا وجل، ولا مداهنة.

فقول كلمة الحق، والحكم بالعدل هو سبيل النجاة لسفينتِنا حتى تصل إلى بر الأمان، والمكاشفة الحقيقية الواقعية العادلة هي الحل لاعوجاجنا وأزماتنا.

عن الحسن رحمه الله قال: يعد من النفاق: اختلاف العمل، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق: الكذب[1].

وقال أيضا رحمه الله: الكذب جماع النفاق[2].

فلنتخلص من النفاق الاجتماعي، ولنستمسك بالنصيحة الصادقة ابتغاء وجه الله تعالى، ولنبادر إلى ذلك حتى نصحح مسارنا قبل فوات الأوان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ٣٥].

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨].

(٢) [الزهد للإمام أحمد / ٤٧١].

طهر قلبك من الغل فإنه داء عضال

أتعجب والله من مؤمن مجتهد في عبادة ربه يصل ليله بنهاره قانتا ذاكرا مصليا داعيا لربه ومولاه تظهر عليه آثار الصلاح، والهدي، والسمت الحسن.

ومع ذلك تجد قلبه قاسيا أسود مربادا، يشتمل على الحقد الدفين، بل يسيطر عليه الحقد، وإرادة البطش، والانتقام؛

فيصبح قلبُه يغلي تغيظا وغيظا وهو يفور ويتفتت كبده حرقة وكمدا كالجمل الهائج؛ لأنه يريد الظفر بضحيته بأي وسيلة، وبكل ثمن؛

فيسعى جاهدا للفتك بها، فيعتدي، ويكذب، ويكيد ويخادع، ويمكر ويطغى، ويظلم. وقد قال النبي ﷺ: «الإيمان قيد الفتك»[1].

وقال ﷺ: «المكر والخديعة في النار»[2].

وللأسفِ فإنك تجد الحاقد لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار حتى يرى ضحيته قد أصيبت بأضرار جسيمه معنوية ومادية؛

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٧٦٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسكت عنه؛ وقال كل ما سكت عنه كما في رسالته لأهل مكة فهو صالح.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٣٦٤/ ٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: إسناده ضعيف.

إما موت أو تلف، أو مرض، أو فصل من وظيفة، أو تشويه سمعة، أو تفريق بين أحبة، أو سجن، أو رحيل بلا عودة؛ عندها يبرد قلبه، وتهدأ نفسُه؛ حيث وصل لمبتغاه، وحقق مناه متبعا هواه الذي يغضب فيه ربه ومولاه.

وقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[1].

فبالله عليكم هل هذا خلق المؤمن المتمسك بدينه؟

وهل هذا هو سلوك أهل النجاة؟ وهل هذا هو هديُ السلف الصالحين؟

كيف يهنأ لك عيش بهذا القلب المتحجر؟ ؛ بل كيف تتلذذ بالعبادة وقلبك قاسي؟

أم كيف تذوق حلاوة الإيمان وقلبك مشتمل على الظلم والعدوان؟!.

وهل تتجرأ أن تلقى الله بهذا القلب الأسود؟! ، وما جوابك بين يدي الله عندما لا ينفعك، ولا ينجيك إلا أن يكون قلبُك

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص١٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٨)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وقد أورده النووي في آخر الأربعين، وقال: «حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح».

سليما: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٩، ٨٨].

إن الإيمان بصفائه، ونقائه يمنع المؤمن من الحقد على إخوانه المؤمنين ويأمره بالحب لهم، والتودد إليهم، والإحسان إليهم، وإضمار الخير لهم، وأن يحب لهم ما يُحبُه لنفسه من الخير والمنافع الدينية والدنيوية، وأن يكره لهم ما يكرهُه على نفسه من الشر والمضار في الدين والدنيا

قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

فيا أهل القلوب المريضة بالحقد؛ اطلبوا التشافي والتعافي من هذا المرض العضال، وهذا الداء الفتاك الذي يفتكُ بكم قبل فتككم بالضحية والذي يحرق قلوبكم قبل تحقيق مبتغاكم، ويحيل حياتكم إلى جحيم لا يطاق.

فتجدون أهل الحقد الدفين، والعداوات، والبغضاء يغلب عليهم الاضطراب والتوتر والغيظ، والتغيظ، والتهيج والهيجان، والغضب، والثوران، ويفقدون سكينة الإيمان، وزكاة النفس، وصفاء الروح، ونقاء القلب، وسلامة الصدر وراحة البال.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

فهل ترضى لنفسك أيها الحقود أن تفوتَ التمتع بتلك الفضائل الإسلامية العظيمة التي ذكرتهُا لك آنفا؟!.

فأكثر من دعاء ربك مبتهلا متضرعا قائلا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

وقال أبو الخير رحمه الله: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيمانا وعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقا وعلامته الحقد والغل والغش والحسد[1].

(١) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٣٧٧)].

لا تذهب نفسك فغيرك لا يشعر بك

لا تعط اهتماما لمن آذوك، أو حسدوك، أو أبغضوك، أو كادوا لك، أو بهتوك، أو استحقروك؛ واستمتع بالتفكير فيمن أحبوك، وقدروك واحترموك، وضحوا لك، وتضامنوا معك وآثروك.

فالمحافظة على لياقة عقلك تؤدي إلى حسن التفكير، وحسن التفكير يوصلك إلى حسن التدبير، وحسن التدبير يقودك إلى النجاح بأقل التكاليف.

وفر وقتك، وجهدك، ومالك، وصحتك، وعافيتك؛ كل ما يكدرك ابتعد عنه، وكل ما سبب لك غما فاهرب منه، وكل ما يسبب لك إحباطا فاجتنبه.

لا تجامل أحدا على حساب عافيتك الفكرية، والنفسية والروحية والجسدية؛ فنفسك أمانة بين يديك، حافظ عليها فهي رأس مالك ولا تفرط فيها فتكون من النادمين، ولا تحملها ما لا تطيق فتكون من الخاسرين.

عن مجاهد رحمه الله قال: لو أن رجلا أنفق مثل أحد في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين[1].

---

(١) [الحلية (تهذيبه) ٢ / ١٣].

وسخر طاقتك، وهمتك، وعزيمتك؛ في حمل نفسك على طاعة الله وذكرِه، وشكرِه، وحسن عبادته؛ تكن بذا عبدا لله حقا وصدقا قولا وفعلا.

بالمواقف والفكر تقوم الأمم

الحياة مجردُ مواقف، ومشاهد، ولقطاتٍ تمر سريعا ثم تغدو ذكريات ويبقى أثرها خالدا في ضمير الإنسان.

فكل موقف له ما بعده، ويرتبط بما قبله، وكل مشهد له أثره ووسْمه عليك، وهو شاهد لك، أو عليك؛

فتذكر قول الحق ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]،

وقال ﷻ: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣].

بل كل فكرة هي قطرة في بحيرة الحياة تتشكل حياتك بِنَاء عليها.

فالفكر قائد يتبعه السلوك ثم يتحول ذلك السلوك إلى عادة. فلتكن فكرتك إيجابية بنّاءة، حتّى يكون سلوكك قويما فيتحَول إلى عادةٍ حَسنةٍ، وطبع كريم.

والطبع الكريم حسنات متدفقة في صحيفتك يوم القيامة إذا صلحت النية؛ فلتكن سمحا كريما، ولا تكن خبا لئيما.

فطبع المؤمن السماحة، والصفاء، والشجاعة، والكرم، وطبع الفاجر المكر، والخديعة، والشح، واللؤم.

وتذكر قول حبيبك ﷺ: «وخير دينكم أيسره»[١].

وقال ﷺ: «الهين اللين السهل القريب»[٢].

وكما يروى: «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم»[٣].

وإني أنصح كل من يريد نجاة نفسه من نار تلظى، أن يهتم بتزكية نفسه وتطهيرها، وتربيتِها؛ قبل اهتمامه بتطهير مظهره.

وأن ينخلع من الحزبية، والعصبية التي صَيرت الكريم لئيما مع من هم خارج حزبه، والسمحَ صعبا جعظريا مع من هم خارج دائرة رابطته.

فيا ربّ أخلصنا لك، واهدنا إليك، وقربنا منك وزينا بالسكينة والحلم، وجمِّلنا بالحكمة والعلم، وآتنا الفقه والفهم؛ وقد صدق حبيبنا، ونبيُنا ﷺ عندما قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[٤].

---

(١) أخرجه الامام احمد في مسنده ١٥٩٣٦.

(٢) الكنى والأسماء للدولابي (١/ ٢٦٧) (٤٧٤) صحيح لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٩٦٤) «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم» من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) من حديث معاوية ﷺ.

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

ربما تنقشع الغيوم، ربما تصفو الحياة، وتنزاح عنا كل الهموم ولكن يبقى الهمُ المصاحب لنا سنوات، وسنوات. والمرافق لنا في الخلوات والجلوات، هو هم الإسلام الذي بعث به نبينا وحبيبنا محمد ﷺ.

متى نرى الإسلام الحقيقي الأصيل بصورته الناصعة البيضاء يعلو فوق هاماتنا، ونرفعه فوق رؤوسِنا مستمسكين به بقوة: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

إنه الإسلام بنقائه، وصفائه بعيدا عن عقد العصر وتعقيداته. إنه الإسلام بنقائه، وصفائه بعيدا عن التلبيس، والملبسين.

إنه الإسلام بنقائه، وصفائه، ووضوحه، وشموليته بعيدا عن تحريف الغالين بعيدا عن انتحال المبطلين، بعيدا عن تأويل الجاهلين، بعيدا عن الأهواء والمنافع الشخصية الدنيئة.

بعيدا عن الحزبية الجاهلية البغيضة بعيدا عن التعصب الأعمى المتشنج،

بعيدا عن التشدد، والغلو المدمر بعيدا عن الشخصنة والقولبة، بعيدا عنَ ليِّ أعناق النصوص.

بعيدا عن استخدام الدين لتصفية الحسابات، والتنفيس عن الأحقاد، بعيدا عن استخدامه لقمع المخالفين، بعيدا عن استخدامه لتحقيق مآربَ أخرى كُلها تصب في إرضاء الهوى.

إن الإسلام أَوَّله استسلام لله، وأوسطه انقياد لله، وآخِره براءة مما سواه. فهل نحن مسلمون على الحقيقة؟! ، وهل تشبعنا بمعاني الإسلام وروحِه العظيمة.

هل فهمنا مقولة الفاروق عمر ﷺ: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[1].

---

(١) ذكره النيسابوري في المستدرك على الصحيحين في كتاب الإيمان، قصة خروج عمر إلى الشام ص (٢٣٧).

حدد هدفك وامضِ ولا تلتفت

امض في طريقك بكل عزم وحزم وإقدام وثبات؛ مستعينا بالله تعالى مستنيرا، بمنهاج السلف الصالح؛ بكتاب ربك العظيم وسنة نبيك الأمي ﷺ.

ولا تتوقف لتجادل مماريا، ولا تلتفت خوفا ولا فزعا، ولا تتردد حيرة ولا قلقا، ولا تتراجع ولا تتقهقر استعظاما ولا استصعابا.

ولا يفتن في عضدك ولا يوهنن في عزيمتك سهام حاسد، ولا واش ولا باهت ولا شامت. بل اكمل مشوارك إلى نهاية الطريق، حتى تصل إلى أهدافك الخيرة.

واعرف قدر النعمة التي أوصلك الله إليها بفضله ﷻ. ولا تفرط فيها، ولا تضيعها، ولا تكفر بها، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم: ٧]؛

ومن كفر النعمة: جحودها ونكرانها، أو جحدان منعمها، أو التفريط فيها وإتلافها.

حدد هدفك ثم تخيله بتركيز، ثم عش لحظة تحققِه بوضوح، ثم اكتب خطة واقعية لتحقيقه، ثم نفذها بمصداقية وإتقان، ثم كافئ نفسك على كل إنجاز واحتفل عند إنجاز كل مرحلة.

واحمد الله واشكره كثيرا على ما وفق ويسر، وسدِّد تكن ناجحا راشدا.

كن إيجابيا مع التغيير

وجه علاقاتك نحو الإيجابية، أحبب الجميع لله وبالله؛ ولكن في حالة رغبتك في مصاحبتهم فلا يمنعنك ذلك من التفكير في نوع علاقتك بهم، ومقدار قوتها ومتانتها، ووقتِها، ونوعها، ومجالاتها ومدى استفادتك منهم، وإفادتك لهم.

وهل هي علاقة واستفادة، وإفادة دينية بحتة! ؛ أم هي علاقة واستفادة وإفادة دنيوية بحتة؟ ؛ أم هي دينية دنيوية؟ وهل هي استفادة وإفادة علمية معرفية ثقافية، كاكتساب علم أو مهارة أو استشارة، أو توجيه، أو استفادة، وإفادة عملية تطبيقية مهنية؟ ، كالتدرب على مهنة، أو اقتراض مال، أو اكتساب خبرة في مجالات الحياة، وهل هي علاقة رسمية أم عفوية.

وهل هي علاقة دائمة أم مؤقتة بمناسبة معينة، وكل ذلك انطلاقا من قوله ﷺ : «احرص على ما ينفعك» [(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كثير تصغره النية[1].

أي ما ينفعك في أمور الدين والدنيا، واجعل مقصدك، ونيتك في كل علاقاتك الدينية والدنيوية هي الاستعانة بها على طاعة الله وتحقيق نصرة الدين، ونفع المسلمين والمسلمات حتى تتحول كل علاقاتك إلى عبادات جليلة، وأعمال صالحة.

واعلم أن التغيير الإيجابي الفعال هو منطلق النجاح، والتقدم، والتطور والازدهار.

وهو مِفتاح الإنجاز، وتحقيق الذات والطموحات إنه الخطوة الجريئة التي طالما منيت نفسك بها، وترددت فيها حتى أحجمت عنها، و ينتظر الجميع منك الآن أن تخطوها.

إن الاحتفال بالتغيير الإيجابي هو طريقة الإيجابيين، وهو وسيلة بلوغ الكمال الإنساني لمعشر السالكين. إن من يتكبر على التغيير هو كمن يقف في وجه الريح العاتية، إن من يقف حجر عثرة أمام التغيير هو كمن يحاول عبثا فيدفع موجة البحر الهائج بيديه.

نريد منكم يا إخوتي أن تحتضنوا التغيير، وأن تنطلقوا في رحلة الحياة من جديد بخطى ثابتة، ورؤى ثاقبة، ونفوس واثقه؛

---

(١) [السير (تهذيبه) ٢/ ٧٦٩].

مقدامة، همامة عزامة؛ تسابق الزمن وتسبق الشمس قبل المغيب؛

فلنصحح تفكيرنا ولنعدل سلوكنا. ولنُعد خطة إيجابية واقعية بناءة؛ ثم لنستعن بالله فهو خير معين، ولنبني مجدنا التليد لننهض بأمتِنا من جديد؛ فأنتم والله جيل النصر الموعود.

يا ربِّ أعنا وسددنا، وحقق النصر على أيدينا.

مقومات النجاح

طريق النجاح سهل واضح بعد توفيق الله، والثقة به، والتوكل عليه وحسن الظنِّ به.

نقول طريقه هو: فكرة قويمة، فهمة وعزيمة، فخطة مستقيمة، فقوة وشكيمة، فثبات وإصرار وتجديد وابتكار؛ فنجاح وازدهار.

قال حاتم الأصم رحمه الله: من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة [1].

---

(١) [الحلية (تهذيبه) ٣ / ٤٤٥].

حسن الظن مفتاح الخيرات

تناسى الماضي الأليم، والذكريات الموجعة، واستحضر واستذكر مواطن السرور والسعادة والنجاح في حياتك، وتفاءل بالمستقبل المشرق الزاهر، وتيقن أن لك ربا عظيما ودودا رؤوفا رحيما؛ هو أرحم بك من والدتك، بل أرحم بك من كل رحيم!

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد شيئا خيرا من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره ما يحسن عبد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ذلك، فإن الخير في يده[1].

فارتقب فضله العظيم بحسن الحمد، وانتظر فرجه الكبير بحسن الظنّ، وقل: يا رب، يا رب، يا رب، يا رب، يا رب، يا رب، يا رب اسألك من فضلك العظيم فإنه لا يملكه إلا أنت فارحمنا رحمة تغننا بها عن رحمة من سواك، وأصلح لنا شأننا كله يا رب العالمين.

---

(١) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ٩٤].

كن لله ولا تكن لغيره

تعظيمك وتقديسُك الشديد للبشر في قلبِك، وخوفك الشديد من تغيرهم عليك، أو نزول قيمتك وقدرك عندهم يسبب لك بلاء وأتعابا مضاعفة، فتصبح تلهث وتلهث وراء السراب الخادع لترضيهم، وتكسب ودهم فيدفعك ذلك للتكلف والتمحل، ويدفعك للتزلف والنفاق الاجتماعي، ويدفعك للاحتياط الشديد، ويدفعك للوسوسة والوسواس، ويدفعك للقلق والترقب ويدفعك لتغيير معالم شخصيتك، ويدفعك لخسران أشياء كبيرة. فاستمع لنصيحتي.

فأقول لك: أحِب الناس، واعرف قدرهم، واحترمهم لكن لا تقدسهم، ولا تسمح لنفسك أن تكون عبدا لهم!

بل احترم وقدر نفسك أولا واحترم رأيك أنت ثانيا، وأعلن عنه بوضوح، وتمسك به بشرط أن يكون مبنيا على الحقائق لا على الأوهام، وأن تزنه بميزان العدل والقسطاس المستقيم.

اكسب قلوب الناس أجمعين لكن ليس على حساب مبادئك، ولا على حساب كيانك وكينونتك، كن واضحا صادقا في النصيحة، وإن كانت مرة المذاق.

ولكن ليشتمل قلبك على حب المنصوح له، والخوف عليه فلا منافاة أبدا بين الحب الصادق والنصيحة الصريحة القاسية،

والنقد اللاذع أحيانا، الناس متقلبو الرأي والمزاج، ولكن قلوبهم بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء كما صح بذلك الخبر، ولا يملكون لأنفسهم ولا لك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

فالله هو الضار النافع المعطي المانع، القابض الباسط المعز المذل فكن مع الله متوكلا عليه، ولا تبالي يرفع شأنك وقدرك فوق العلالي.

وردد دوما هذا الدعاء المبارك الذي دعا به الأنبياء قائلا: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤].

كن واثقا بقرارتك وتحمل نتائجها

في علاقتك كن واثقا متفائلا مشرقا محسنا للظنِّ بربك ومولاك، ثم بنفسك وبقدراتك، وبإمكاناتك.

ولا تقبل بالأفكار السلبية البئيسة، التي تدعو إلى الإحباط واليأس والقنوط أن تتسلل إلى عقلك، أو قلبك، أو نفسك؛ ارفضها واحفظ نفسك وصنها عنها بالإكثار من ذكر الله، ودعائه مع اليقين بالإجابة والاستغراق في الأفكار الإيجابية المشرقة، والتلفظ، والتحدث، والجهر بها ليلا ونهارا.

فكل فكرة إيجابية تدفعك للأمام نحو المجد، وتعطيك طاقة كبيرة نحو تحقيق هدفك الشريف؛ كما أن كل ضيق يتبعه مخرج، وكل غم وهم بعده يأتي الفرج وكل عسر واحد يتبعه يسران.

قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرا (٦)﴾ [الشرح: ٥، ٦].

تحمل مسؤولية قراراتك ونتائجها، وواجه حياتك بشجاعة فريدة وثقة كبيرة وأكيدة يسبقها توكل على الله المجيد. فما وصلت إليه من معطيات ونتائج وأحوال على كافة الأصعدة والمستويات هو بعد تقدير الله وقضائه من ثمار ونتاج أفكارك وقراراتك، وسلوكياتك وتصرفاتك.

فإن اعترفت، وأقررت بذلك فقد سيطرت على حياتك وقطعت عنك حبائل الوساوس والأوهام الردية. فإن كانت النتائج المعترف بها حميدة ومبهرة فالحمد لله، وإن كانت غير ذلك فقد كسبت منها دروسا وعظات، وعبرا.

كما أنها ابتلاء، أو كفارة لسيئات سالفة لك، وستكون بعون الله انطلاقة لك جديدة، برؤية جديدة، وبصيرة فريدة.

فيها حذر ويقظة ونباهة بإذن الله تعالى فيغدو فشلك نجاحا، وإخفاقك فلاحا وخطؤك طريقا للصواب، وسُلما للمجد والعلياء؛ فكن واثقا مطمئنا.

انظروا عمن تأخذون دينكم

تتواردُ الأفكار المتناقضة، والمتناثرة على الإنسان من كل حدب وصوب؛ فتبعثر همته، وتفرق شمله، وتزيغ بصره؛ فيصبح يدور في حلقة مفرغة.

وخاصة في هذا الزمان الذي غدا أهله يتواصلون بآلاف الأفكار، وعشرات المقاطع والمواقف، بشكل يومي بل على مدار الساعة.

وبكل حماسة، ومتعة وإثارة فأصبح كل منا يحمل في جعبته بنك معلومات متنقلا يرسله لمن شاء متى شاء بضغطة زر واحدة.

ولكن يا ترى؛ هل هذه حالة صحية أم حالة مرضية؟

أجيبكم بنصيحة من كل قلبي؛ وأقول: المؤمن الحصيف الواعي اليقظ لن يسمح لنفسه أن تكون مرتعا خصبا لأفكار ومعلومات متناثرة ترد عليه من هنا، وهناك، ومن أشخاص لم يعرفوا بالعلم، والفكر السليم ولم يُشهد لهم بالكفاءة والأمانة، والإتقان.

فلا تكن كالإسفنجة تتشرب كل ماء نزل عليها؛ فقلبُك، وعقلك هما أغلى شيء تملكه بعد الإيمان.

فلا تفرط فيه، ولا تسمح لكل فكرة بعبور بوابة عقلك، ولا قلبك لأن لكل فكرة أثرا فيك، وعليك، ولابد طال الزمنُ أم قصر- فكن موفقا وانتق أصدق الأقوال، وأميز الأفكار، ولا يكن همك الاستقبال والإرسال؛ بل التأمل والفحص والدراسة، ثم الإرسال، والنشر.

وكن حكيما فهيما تقدر الأمر قدره، وتضعُ الشيء في موضعه، ولا تقل كما يقول العاجز العهدة على الراوي، بل العهدة والمسؤولية الكاملة عليك؛ فأنت مسؤول عن نفسك فيما تقرأ وتتلقى؛ وفيما ترسل وتبث وتنشر.

فكما أن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة؛ فكذلك يدخل بالسهم الواحد ثلاثة النار.

فكل من أعان على خير فهو شريك فيه، ولابد؛ وكل من أعان على شر فهو شريك فيه؛ ولابد؛ قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ورب كلمة قالت لصاحبها دعني، وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب»[(١)]، وقبل ذلك قال الله ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ليلة القدر خير من ألف شهر

الليلة التي ستدخل علينا بعد سويعات قليلة بإذن الله هي أرجى الليالي وأحراها أن تكون ليلة القدر، فتجهزوا لها، وهيئوا أنفسكم، وتخلصوا مما يشغلكم، واستعدوا لقيامِها، وكثرة العبادة.

والدعاء فيها بقلوب مخلصة خالصة طاهرة نقية، ونفوس طيبة راضية رضية زكية، تعلوكم السكينة، والطمأنينة، والهدوء، والسمت الحسن، والهدي الصالح.

متذللين، متضرعين خاشعين، أواهين، منيبين لربكم الحق الكبير، موقنين بتقصيركم في جنب الله، منكسرين له نادمين، معترفين بأخطائكم، وزلاتكم وذنوبكم، وسيئاتكم، وعيوبِكم؛ متواضعين لعباده متسامحين معهم، متغافلين عن تعدياتهم عليكم، متناسين ما اقترفوه في حقكم، متخلصين من الغل والحقد، وحب الثأر والانتقام، والتشفي؛ هكذا يقبلُكم، ويتقبلكم الله!.

وهكذا يتقبل أعمالكم وهكذا يغفر لكم ويعفو عنكم، وهكذا يجتبيكم ويصطفيكم ويكرمكم ويحفظُكم ويؤويكم فتكونوا من أحبابه، وأوليائه وخاصته، وجندِه، وحزبهِ المفلحين الفائزين.

فهي ليلة الليالي، ودرة الليالي التي جزم ابنُ مسعود، وابنُ عباس، وأبي ابن كعب أنها حقا ليلة القدر من كل عام، والعبادة فيها خير من عبادة ألفِ شهر.

فانتبه يا أخي، وانتبهي يا أختي إلى قلبك فيه: فطهره من الشرك بالله، وطهره من النوايا السيئة الفاسدة: المكر والكيد والخديعة، والغش، وطهره من الكبر والحسد والغل، والحقد؛ ثم اشتغل بالأدعية الجامعة، الصالحة الطيبة المباركة لك ولوالديك، وأرحامكَ وأحبابكَ، ومشائخك، ومن له حق عليك، وللمسلمين، والمسلمات والمؤمنين، والمؤمنات الأحياء والأموات، ومن آكدها تكرارك لهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني»[1].

عن ابن أبي ليلى قال: كتب أبو الدرداء ﷺ إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغضه إلى خلقه[2].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال: حسن صحيح.

(٢) [صفة الصفوة ١/ ٢٩٩].

وأخـرِج في هـذه الليلـة المباركـة صـدقاتك الطيبـة المباركـة للفقـراء والمسـاكين واكفـل الأرامـل، والأيتـام، والطـلاب، أو وكل مـن يقـوم بـذلك عنـك مـن الثقـات، واختمهـا بـالبكاء مـرددا سـيد الاستغفار تائبا توبة نصوحا، إلى الله التواب الغفار.

فـاللَّهُمَّ بلغنـا ليلـة القـدر، وتقبلنـا فيهـا، وتقبلهـا منـا، وأجـب دعواتنا فيها يا رب العالمين.

ركعتان كاملتان تامتان خير من الدنيا وما فيها

قُمْ الآن إلى محرابك توضأ وصل ركعتين فريدتين استحضر فيهما عظمة الله ﷻ، وشدة فقرك وافتقارك إليه، وثقتك وتوكلك واعتمادك عليه.

أثن فيهما على الله، تحميدا وتسبيحا، وتمجيدا وتقديسا؛ سبحانه لا نحصي ثناء عليه، اسكن فيهما واطمأن، واخشع خشوع النسر بجناحيه؛ فالخشوع هو روح الصلاة ولبها، وكن فيها مطمئنا آمنا، ولا تخف ولا تفزع، فأنت في كنف الله وحفظه، ورعايته.

تدبر فيهما ما تقرأه من قرآن، وما تتلوه من أذكار، لا تُحدِّث نفسك فيهما في الحطام الفاني، ولا تسرع فيها ولا تتعجل، في إنهائها، فليس ما تذهب إليه بأفضلَ مما أنت فيه، أنت الآن في نعيم الروح، وبَهجةِ النفس، ونور القلب، وقرة العين.

قال الله ﷻ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]،

وقال ﷺ: «واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة»[١]، وقال ﷺ: «الصلاة خير موضوع، فمن شاء استقل، ومن شاء استكثر»[٢].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٠٣٧) من حديث ثوبان ﷺ.

(٢) ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر ﷺ.

وادع الله فيهما بخيري الدنيا والآخرة، ففيهما مواطن الإجابة من الله الكريم، ولا تغفل عن دعائك للمسلمين، والمسلمات، والمؤمنين، والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

ولتَكُن صَلاَتُك صَلاَة مُودِّع خاشعا خاضعا فيها لله تائبا منيبا إليه مُسْتَسَلما له ثمّ تَضَرَع إلى الله تَعَالى بقبولها، فإن قَبلها الله بفضلهِ غفر لك ما تقدم مِنْ ذَنبك فياله مِنْ فَضل عَظيم وجَائزةٍ كُبرى، أنْ تُغفر ذنوبك بصلاةِ ركْعَتين؛

فاللّهُمَّ أعنّا على ذِكْرك، وشُكْرِك وحُسن عِبادتك يا رب العالمين.

الخاتمة

وبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمه

نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة عبرنا فيها على محطات بين تفكّر وتعقل

وقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الأفكار

فما هذا إلا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أنا بذلنا فيه قصارى جهدنا فان أصبنا فذاك مرادنا وإن أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم

وصلى الله وسلم وبارك عل نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس الكتاب

مقدمة السيد الشريف فضيلة الشيخ د.محمد عبد الرحمن الأهدل -- ٣
مقدمة السيد الشريف فضيلة الشيخ د. مازن الشريف -------- ٦
مقدمة فضيلة الدكتور بدري المدني---------- ٩
مقدمة فضيلة الشيخ العلامة قيس بن محمد آل الشيخ مبارك ---- ١٣
عضو هيئة كبار العلماء سابقا---------- ١٣
مقدمة المؤلف---------- ١٥
فاعبد الله مخلصا له الدِّين ---------- ١٨
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ---------- ٢١
كن مع الله ترى الله معك ---------- ٢٣
من تذلل لله أعزه ---------- ٢٥
سيد الخلق وحبيب الحق---------- ٢٩
الدعاء طريق الفلاح ومفتاح النجاح ---------- ٣١
تفكر ساعة خير من قيام ليلة ---------- ٣٦
الهوى المتبع في الحب ---------- ٣٨
استهدوا ربكم يهدكم ---------- ٤٠
ألا بذكر الله تطمئن القلوب ---------- ٤٢
أهل الحق هم الرجال حقا وصدقا ---------- ٤٥
اتباع الحقِّ هو طريق الجنة ---------- ٤٨
وأتبع السيئة الحسنة تمحها---------- ٥٠
من ملامح منهاج السلف الصالح---------- ٥٣

تريث في فهم النصوص الشرعية ---------- ٥٦
فقه الأولويات ---------- ٥٨
الحب والبغض في الله ---------- ٦٠
تعظيم السنة وإحياؤها ---------- ٦٣
الساخط المتسخط المعترض على ربه ومولاه ---------- ٦٤
مشاعر القلب ---------- ٦٧
هجْرَة القَلْب إلى الله ---------- ٦٩
لِتَكُنْ عَلَاقَتُك بِمَوْلاَك مَتِينَة ---------- ٧١
نعمة كبرى ومنحة عظمى ---------- ٧٤
حسن الإقبال على الله ---------- ٧٦
إضاءات لطالب العلم ---------- ٧٨
ومضة مضيئة في أسس الدعوة وأخلاقياتها ---------- ٨٢
النجاة في الوسطية والاعتدال ---------- ٨٥
طريق النهوض بالإسلام ---------- ٨٧
طوق النجاة لأمتنا المرحومة ---------- ٨٨
كارثة انقلاب المفاهيم وتحريفات الدين ---------- ٩٠
إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ---------- ٩٤
خطورة الجرأة على الدين ---------- ٩٦
الخير في الاتباع والشر في الابتداع ---------- ٩٩
قل خيرا أو اصمت ---------- ١٠١
أهل الهوى والتعالي ---------- ١٠٤
الصبر مفتاح الفرج ---------- ١٠٦

محاسبة النفس فوزٌ ---------- ١١٠
لا تأخذك في الله لومة لائم ---------- ١١٢
يا أيها الجويهل المعجب المغرور ---------- ١١٣
أيها المغرور المعجب بنفسه ---------- ١١٥
الرجل الأجوف التافه الخب المخادع ---------- ١١٧
بين الالتزام الحق والالتزام الأجوف ---------- ١١٩
رجلُ العصر الحديث ---------- ١٢٣
الثبات على المبادئ كنز لا يفنى ---------- ١٢٥
ليكن ميولك وهواك وقرارك تبعا لهدي نبيك ﷺ ---------- ١٢٧
إنها مدرسة الابتلاء ---------- ١٣٠
بالشكر تدوم النعم ---------- ١٣٢
ثَقَافَة الحُب ومُجْتَمع الحُب المَنْشُود ---------- ١٣٤
يا لها من دنيا عجيبة ---------- ١٣٦
كن صاحب مبدأ ---------- ١٣٨
الرضا والتوكل سبب العطاء ---------- ١٤٠
اصبر على البلاء فإن فيه الخير ---------- ١٤٢
توجه إلى الله المعبود ---------- ١٤٤
خَاطِرة مُفْزِعة لأهلِ القُلوبِ الحيَّة ---------- ١٤٧
جالس مولاك تفز بمعيته ---------- ١٥٠
كفى بالموت واعظا ---------- ١٥٢
إلى الله المصير والمستقر ---------- ١٥٥
كتاب الله العروة الوثقى ---------- ١٥٧

لن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا ---------- ١٥٩
خصال الخير الجامعة ---------- ١٦١
غير نفسك يغير الله بك غيرك ---------- ١٦٣
الوقت كالسيف ---------- ١٦٦
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ---------- ١٦٩
كن رأسا في الركب ولا تكن ذنبا ---------- ١٧٢
لا تتعصب فالخير فيك وفي غيرك ---------- ١٧٤
لا ينبغي أن يغلب اختلافنا اتفاقنا ---------- ١٧٦
يد الله مع الجماعة ---------- ١٧٨
وصية غالية جامعة ---------- ١٨٠
من فضائل وميزات أمتنا ---------- ١٨٤
الأدب في النصيحة دليل صدقها ---------- ١٨٦
حقوق الإخوة الحقيقة ---------- ١٨٩
تخير أصحابك وتعلم فقه الصحبة ---------- ١٩١
اجتهد في الستر على المسلمين كاجتهادكَ في فضيحة المجرمين ---- ١٩٥
من زرع المعروف لا بد أن يحصده ---------- ١٩٩
لا تكن صيادا للعيوب متصيدا للزلات ---------- ٢٠٠
أذية الناس شؤم عليك ---------- ٢٠٠
بين قوة الحق والقوة في الحق ---------- ٢٠٣
عزو الفضل لأهله فضيلة ---------- ٢٠٥
ميزان العدالة ---------- ٢٠٨
الايثار والاستئثار ---------- ٢١١

حسن الظن مفتاح الخير ---------- ٢١٦
والصلح خير ---------- ٢١٨
الشجاعة الحقيقة ---------- ٢٢١
اعترف بعيوبك كما تظهر فضائلك ---------- ٢٢٣
المتسلقون أصحاب المصالح ---------- ٢٢٥
في أرض الواقع تظهر معادن الشرفاء ---------- ٢٢٧
أهل الضمائر الحية والمعادن الكريمة ---------- ٢٢٨
لا خير مع الأنانية ---------- ٢٣١
كن صاحب عزيمة واعرف ماذا تريد ---------- ٢٣٣
التكبر والتجبر سبب الحرمان ---------- ٢٣٤
لا تقوم أمة بغير الصدق ---------- ٢٣٦
إياكم وذو الوجهين ---------- ٢٣٨
طهر قلبك من الغل فإنه داء عضال ---------- ٢٤٠
لا تذهب نفسك فغيرك لا يشعر بك ---------- ٢٤٤
بالمواقف والفكر تقوم الأمم ---------- ٢٤٦
نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ---------- ٢٤٨
حدد هدفك وامضي ولا تلتفت ---------- ٢٥٠
كن إيجابيا مع التغيير ---------- ٢٥٢
مقومات النجاح ---------- ٢٥٥
حسن الظن مفتاح الخيرات ---------- ٢٥٦
كن لله ولا تكن لغيره ---------- ٢٥٧
كن واثقا بقرارتك وتحمل نتائجها ---------- ٢٥٩

انظروا عمن تأخذون دينكم ---------- ٢٦١
ليلة القدر خير من ألف شهر ---------- ٢٦٣
ركعتان كاملتان تامتان خير من الدنيا وما فيها ---------- ٢٦٦
الخاتمة ---------- ٢٦٨
فهرس الكتاب ---------- ٢٦٩